وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الانسانية

المدن الساحلية في المغرب الأوسط وأهميتها الإقتصادية من خلال رحلة العبدري

مذكّرة مقدّمة للحصول على شهادة الماستر في تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعـداد:
أمينة بوطريق
فايزة هني

إشـراف:
الدكتورة :فاطمة الزهراء مالكي

السنة الجامعية 1439-1440هـ/ 2018-2019م

شكر وعرفان

"رب أوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي، وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين "

نشكر الله عز وجل وفقنا وسدد خطانا لانجاز هذا العمل .

الى قيد النعم شكرها ومن لا يشكر الناس

لايشكر الله فمن واجبنا في هذا المقام

ان نذكر الفضل لأهله ونتقدم بأبلغ صيغ

الشكر الى أستاذتنا المشرفة : مالكي فاطمة الزهراء

التي فتحت لنا باب الفكرة الواسع وغمرتنا بتواضعها، التي تابعتنا بإخلاص وأجادت نصحنا ووقفت على مراحل العمل موجهة مقومة وناقدة وحاضرة

أدامها الله ونفعنا بعلمها .

الى كل من علمنا حرفا فصرنا نخط العبارات ، نكن لهم فائق التقدير والاحترام ، الى أساتذة قسم التاريخ ، وأعضاء لجنة المناقشة على مناقشة هذا العمل المتواضع.

وأخيرا كل من ساعدنا من قريب او من بعيد في إعداد هذا العمل ولو بكلمة طيبة .

اهداء

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة السلام على اشرف المرسلين اما بعد :

نحمد الله عز و جل على عونه لنا في هذا البحث

اهدي هذا تخرجي هذا الى من اسأل الله ان يديمها و يحفظها ويرعاها لنا لتبقى لنا السند والملجأ إلى الصوت الذي عند سماعه يطمئن قلبي وتسكن جوارحي الى أعظم هبة وهبها الله لنا الى أعذب لفظ تلفظت به شفاه البشرية الى من التمس خطواتي برضاها الى نور عيني وضياء حياتي امي الغالية ،

إلى من أرجو رضاءه على الدوام الى عزي وفخري الذي

أنار درب حياتي أجمل مستقبل ابي أطال الله في عمره،

إلى من أعطوني بدون مقابل وأحبوني بدون حدود الى من يجري حبهم في عروقي ،الإخوة حمزة ، مروان ، ياسين ، والأخوات فاطمة الزهراء، ياسمينة ، نوال ، سهام ، نسرين الى براعم الأسرة ابتسام، فراس ، ملاك ، وئام ، ايمان ، عبدو ، امين ،

الى العائلة الحبيبة كل باسمه،

الى من تحلو الحياة برفقتهم شلتي شلة الصفاء أصدقائي

سمية ، سهام ، سلمى ، إيمان ، مريم ...

الى من قاسمتني التعب والشقاء وكانت لي عونا في كال الصعاب زميلتي في البحث أمينة

الى من ساعدني ولو بكلمة بطيبة اهدي هذا العمل فان وفقت فمن الله وان اخطات فمن الشيطان

فايزة

اهداء

لابد لنا ونحن نخطو خطواتنا الأخيرة في الحياة الجامعية

نعود إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة

وقبل ان نمضي أقدم آيات الشكر والامتنان

الى من أرضعتني الحب والحنان ، الى رمز الحب وبلسم الشفاء أمي حبيبتي ،

إلى من حصد الأشواك لي يمهد لي طريق العلم ،وعلمني

ان الحياة كفاح ونضال ابي العزيز ،

الى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة ا

لى رياحين حياتي أخواتي وإخوتي حسين وزوجته سهام ، ساعد ،

محمد الى أخواتي الهام ، زوليخة ، هبة ، وأزواجهم

والى كتاكيت إيمان ، ايمن، ادم ، ادهم ، عبد الرحمان ، مريم، ملك

الى زوجي العزيز عمار ، وكل عائلة بوطريق ، دقيش ، قداشي

إلى صديقاتي فيروز ، ربيحة ، امال ، جميلة ، عبير ، خديجة

..الى زميلتي في البحث فايزة

والى كل من ساعدني في البحث من قريب او بعيد.

امينة

قائمة المختصرات :

المختصر	الإسم
ص	الصفحة
ص ص	صفحتين متتاليتين
ج	جزء
تح	تحقيق
تر	ترجمة
دت	دون تاريخ
دم	دون مكان
ط	طبعة
مج	مجلد
م	ميلادي
ه	هجري
تص	تصحيح
تع	تعريب
تق	تقديم

مقدمة

مقدمة:

لقد شهد المغرب الإسلامي عموما، والمغرب الأوسط خصوصاً، ازدهارًا كبيرًا، برز فيه النشاط الفكري والحضاري والاقتصادي، وذلك بفضل وحدة اللغة والعقيدة،ومن العوامل التي برزت من خلال هذا الازدهار، نجد الرحلة التي كانت لها مكانة مهمة ،فتنوعت بتنوع أسبابها ومقاصدها .

وعرف المغرب الأوسط، بالعديد من المدن والمراكز الحضارية التي تطورت وازدهرت، ومازلت تحتفظ بالكثير من معالمها الأثرية التي تشهد على العمق الحضاري الإسلامي لها، ومن بين المهتمين بهذا الموضوع العبدري في كتابه الرحلة المغربية" رحلة العبدري" وهو محور دراستنا والبحث الموسوم ب : المدن الساحلية في المغرب الأوسط وأهميتها الاقتصادية من خلال" رحلة العبدري".(7ه/13م).

أسباب اختيارنا للموضوع:

من أسباب اختيار الموضوع اهتمامنا بدراسة تاريخ مدن المغرب الأوسط التي كان لها دور في الجانب الاقتصادي للمغرب الاسلامي بصفة عامة، والتاريخ الوسيط بصفة خاصة . الى جانب ما احتوته هذه الرحلة

إلى جانب رغبتنا في الاطلاع ودراسة كتاب من كتب الرحلة ككتاب العبدري .

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في أنه يعرفنا على جغرافيا الرحالة للمدن التي زاروها ، وانه يعطينا معلومات عن المدينة وحالتها الاجتماعية والإقتصادية والعلمية ،وعن أهلها ، وجوانب أخرى مختلفة ، سواء في المغرب الأوسط أو في مدن المغرب الأخرى الساحلية خاصة .إلى جانب ذلك إظهار تأثير العلم في الرحالة ، والذي يجعله يغفل عن جوانب ويغلب الجوانب العلمية والأخلاقية ، بدل أن يسترسل في ذكر العمران والتجارة والأسواق ، وهو مايجعلنا ندرك مايراه الرحالة أولوية في حياته خاصة في الرحلات المتعلقة بالحج .

الإشكالية:

انطلاقا من اهمية كتب الرحلة التي تنقل صورة عن واقع المدن المغربية في زمانها وعصرها ،بشخصياتها واحداثها ، إلى جانب حالة المحتمع من أي وجهة كان إقتصاديا او إجتماعيا ، وانطلاقا من رحلة العبدري إلى اي مدى ابرز العبدري في إظهار حالة مدن البمغرب الأوسط الساحلية خاصة الإقتصادية ؟ وهل تأثر بالجانب العلمي في

وصفه للمدن وغلبه عن الجانب الإقتصادي ؟وهل توافقت معلوماته مع مصادر أخرى تخص نفس المدن ؟ومن خلال هذا الطرح نطرح الأسئلة الفرعية التالية :

1-ماهي الرحلة ؟ وماهي دوافعها ؟

2-من هم أشهر الرحالة ؟

3-من هو العبدري ؟ وما هو مضمون رحلته ؟ وماهي أهميتها التاريخية ؟ وكيف ذكر مدن المغرب الأوسط ؟

4-ماهي أوجه الشبه والاختلاف فيماذكره عن هذه المدن ،وماذكرته المصادر الأخرى ؟

-الدراسات السابقة :

لانعرف دراسة للعبدري أو عن المدن الساحلية في المغرب الأوسط من خلال رحلة العبدري ، أو من خلال كتب الرحلة ، غبر الإشارات عن المدن في كتب الرحلة أو الجغرافيا المختلفة ، أو معلومات من خلال الكتب التي درت أدب الرحلة .

منهج العبدري :

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي من خلال وصف المدن بما فيها من عمارة كالمساجد والبيوت ، والأسوار وغيرها من أشكال العمران ،إلى جانب وصف أهلها شكلا من خلال وصف حالتهم ، أو من خلال ذكر أخلاقهم ، إلى جانب وصف الزروع والمنتجات ، وتوافد التجار وغير ذلك .

واعتمدنا أيضا المنهج الإستنتاجي والتحليلي ،كما اعتمدنا أيضا المنهج المقارن لمناسبته الموضوع ، وذلك لأن المعلومات كانت قليلة جدا ، وبالتالي كان لزاما علينا أن نعتمده من خلال مقارنة ماذكره العبدري ، مع رحالة أخرين أو جغرافيين ، ومنهم ياقوت الحموي ، أو المقديسي ، أو الإدريسي وغيرهم ، وأيضا مقارنة وصف العبدري للمدن الساحلية في المغرب الأوسط مع مدن المغرب الأدنى والأقصى ، واخترنا ايضا الحديث عن اهم مدينة وهي مكة المكرمة لنقارن رأي العبدري ومدى دقته وملاحظته خاصة أن مكة لها مكانة خاصة في قلوب المسلمين .

خطة البحث :

وللإجابة على الإشكالية قسمنا البحث إلى ثلاث مباحث إلى جانب مقدمة وخاتمة ومجموعة من الملاحق.

مقدمة وتحتوي على تمهيد للموضوع ،واهميته وأسباب إختياره ،كما طرحنا فيها إشكالية تخدم موضوعنا ، وأهم المصادر والمراجع

إلى جانب مدخل تمهيدي أبرزنا فيه مفهوم المغرب الأوسط عند الرحالة والجغرافيين .

المبحث الأول : وكان حول الرحلة والرحالة المسلمون وتناولنا فيه :

مفهوم الرحلة ، وأسبابها ، ونماذج عن بعض الرحالة والجغرافيين في المغرب الأوسط .

والمبحث الثاني : عرفنا فيه العبدري وكتابه الرحلة المغربية بداية بولادته ونشأته ، ثم تطرقنا إلى حياته العلمية وأسلوبه (مشايخه –مكانته العلمية –مؤلفاته)، ثمن قمنا بدراسة مصنف الرحلة (ظاهريا –باطنيا).

أما المبحث الثالث فتطرقنا فيه إلى المدن الساحلية في المغرب الأوسط من خلال كتاب العبدري ، وقسمناه إلى مدن المغرب الأوسط ومدن أخرى .

وختمنا البحث بمجموعة من الاستنتاجات ، وملاحق ، وأخيرا قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في البحث .

-المصادر والمراجع:

اعتمدنا على مجموعة من المصادر منها :

- أبو عبد الله العبدري (ت700ه/1300م)، الرحلة المغربية،تح علي الكردي. يعد مصدر هوالذي اعتمدنا عليه بالدرجة الأولى في دراستنا رحلة العبدري.

-الإدريسي أبو محمد بن إدريس (ت547هـ/1159م) نزهة المشتاق في اختراق الافاق يشتمل كتابة على معلومات هامة في الجغرافيا فهو يتحدث عن المدن والقرى والأمصار...و استفدنا منه في تعريف كل مدينة.

- ياقوت الحموي (ت626هـ/1228م) معجم البلدان مصدر هام في جغرافية العالم الإسلامي، تحدث عن أسماء المدن والأماكن خصوصا المغرب الأوسط، والاسلامي عموما بأجزائه الخمسة.

- الحسن الوزان، اعتمدنا عليه في شرح المدن، وذلك لكلماته البسيطة والمفهومة.

- أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد (ت685ه/1285م)، الجغرافيا استخدمناه في وصف المدن ومواقعها.

-ابن حوقل ابو القاسم النصيبي (ت364ه)صورة الارض يحتوي على العديد من المدن التي ساعدنا في المقارنة .

-الحميري لمحمد عبد المنعم الحميري (890ه)الروض المعطار في خبر الاقطار ،معجم جغرافي لايخلو من السرد وذكر الاخبار والوقائع مع تحديد المواقع .

-البكري ابي عبيد الله (390ه) ، المسالك والممالك ، تحدث عن المغرب واقطاره .

-المقديسي ابو عبد الله (390ه) ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، تناول في كتابه الاقاليم السبعة وذكر الطرق والمواصلات .

-المراكشي ابي عبد الله محمد (695ه) ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، امدنا بمعلومات عن حدود المغرب .

أما بالنسبة للمراجع فهي عديدة نذكر منها على سبيل المثال:

-كردي ابراهيم، أدب الرحل في المغرب والأندلس، فهو يحمل مقتطفات عن رحلة العبدري بالنقد والتحليل كما ساعدنا في نقد أسلوب العبدري.

-فؤاد قنديل، أدب الرحلة، ساعدنا في التعرف عن رحلة العبدري وعن النماذج الرحالة في القرن (7هـ-13م) مع المدن التي زارها وغيرها من المراجع.

-صعوبات البحث :

من الصعوبات التي واجهتنا في البحث قلة المادة العلمية التي تخص العبدري نفيه ، وأيضا قلة المعلومات في كتابه عن مدن المغرب الأوسط فعدد الصفحات لايتجاوز 10 الصفحات ، ناهيك عن شحة المعلومات المتعلقة بالجانب الإقتصادي في رحلته ، الأمر الذي جعلنا نوسع الوضوع لمدن المغربين الأدنى والأقصى من باب المقارنة ، وبالتالي صعوبة أكثر .

والصعوبة أيضا كانت تخص اعتمادنا المنهج المقارن ، خاصة في مقارنة كنية العبدري مع مصادر أخرى حول مدن المغرب الأوسط ،وهو الأمر الذي يحتاج إطلاع كبير ووقت أكثر .

مدخل

تمهيدي

مفهوم المغرب الأوسط

-مفهوم المغرب الأوسط:

المغرب الأوسط منطقة جغرافية اختلف المؤرخون والرحالة في ضبط حدودها الجغرافية، لأنه ظل لفترات طويلة محل صراع سياسي بين مختلف القوى التي قامت على أرضه.

تعود أول إشارة لمدلول المغرب الأوسط في كتب الجغرافية للرحالة الجغرافي البكري[1] (ت487هـ-1094م) ، وهو أول من استعمل مصطلح المغرب الأوسط بعد توضيحه لحدود فضاء المغرب الواسع الممتد من برقه إلى طنجة، حيث يقول "...وهذه المدينة قاعدة المغرب الأوسط".[2]

كما تطرق ابن خلدون (ت808هـ-1405م) الذي ربط المغرب الأوسط بديار زناتة[3] وقاعدته تلمسان، ويذكر بعدها بعض من مدينه كهنين وبجاية وبونة وجزائر بني مزغنة وآشير ومنطقة الزاب... وإستند في تقسيمه على التجمعات البربرية في المنطقة.[4]

أما صاحب كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار فيتفق مع البكري وابن خلدون في أن تلمسان قاعدة المغرب الأوسط فيقول:"...وفيه مدن كثيرة، وقاعدتها مدينة تلمسان، وحدَّ المغرب الأوسط من واد مجمع، وهو في نصف الطريق بين مدينة مليانة ومدينة تلمسان بلاد تازا من بلاد المغرب في الطول، وفي العرض من البحر عن ساحل البلاد التي ذكرنا في البلاد الساحلية وهران ومليلة وغيرها...[5].

اختلف كثير من الرحالة في حدود المغرب الأوسط ومنم:

الإدريسي[6] (ت560ه-1064م) فيذكر أن "بجاية مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد حماد، ثم يذكر بعض مدنه"... وفيه من بلاد المغرب تنس وبرشك وجزائربني مزغنا وتدلس وبجاية وجيجل ومليانة، والغدير ومقرة ونقاوس وطبنة وقسنطينة..."[1]

---

[1] البكري: هو أبو عبيد البكري رحالة وجغرافي أندلسي، ولد سنة 432هـ/1044م، أقام في قرطبة، كما زار المغرب، أنظر: حسين مؤنس، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، ط2، مكتبة مدبولي، مصر،1986، ص 115.

[2] البكري (أبي عبيد الله)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك، دط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دت، ص ص 75-77.

[3] زناتة: قبيلة بربرية من البتر، أصلها إشانه أو جانه ابن يحي بن صولان، بن وراك بن دره بن زميك بن عيسي بن بر، أنظر:-أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، ابن حزم (ت456هـ-1064م): جمهرة أنساب العرب، تح عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، 1962م، ص 495.

[4] عبد الرحمان ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح خليل شحادة، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2000م، ص 134.

[5] مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دط، دار الشروق الثقافية العامة، آفاق عربية، العراق، دت، ص 176.

[6] الإدريسي: هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس ويقال سمي بالشريف الإدريسي نسبة إلى الأدارسة العلويين، ويعتبر أول من رسم خريطة دائرية للعالم بإضافة إلى سبعين أخرى احتوى عليها كتابة نزهة المشتاق في

أما عبد المنعم الحميري (ت900هـ)[2] فقد قسم المغرب: إلى إفريقية والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى، و ذكر أن بجاية هي قاعدة المغرب الأوسط.[3]

وكذلك قسم ابن سعيد المغربي[4](685هـ-1286م) بلاد المغرب إلى عدة أجزاء، ويذكر أن تلمسان تقع في الجزء الأول من مراكش وفاس والأندلس، أما المغرب الأوسط فيقع حسبه في الجزء الثاني، وقاعدته بجاية ومن مدنة "مستغانم وتنس وجزائربني مزغنة وتدلس...".[5]

من هنا نجد أن المغرب الأوسط أختلف في ضبط حدوده فنجد أن البكري، وابن خلدون و صاحب كتاب الاستبصار يذكر أن قاعدته تلمسان في حين نجد الإدريسي والحميري وابن سعيد ذكروابأن قاعدته بجاية.

المبحث الأول : الرحلة والرحالة المسلمون .

-مفهوم الرحلة .

-دوافع الرحلة .

-نماذج لأشهر الرحلة والجغرافيين المسلمين.

اختراق الآفاق أنظر: محمد محمود محمدين، التراث الجغرافي الإسلامي، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1999م، ص 216.

[1]محمد ابن محمد أبو عبد الله الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تح روبيناتشي وحسين مؤنس وآخرون، مج1 مكتبة الثقافة الدينية دم، دس، ص 161.

[2] الحميري: هو أبو المنعم الصنهاجي الحميري، رحالة وجغرافي، يكنى بأبي عبد الله، وعرف بابن عبد المنعم، من أهل سبتة أنظر:- محمد محمود محمدين، المرجع السابق، ص 193.

[3] الحميري(محمد بن محمد بن عبد المنعم الحميري)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس،دط، مكتبة لبنان، بيروت،1984مص ص 80، 81.

[4] ابن سعيد: هو أبو الحسن علي بن سعيد بن موسى بن عبد الملك بن سعيد، ولد سنة 610هـ، في قلعة يحقى، أعمال غرناطة التي كانت مقرا لإمارة بني سعيد، أنظر: رحاب خضر عكاوي، موسوعة عباقرة الإسلام في الطب والجغرافيا والتاريخ والفلسفة، ج2، دار الفكر العربي ، بيروت،لبنان، 1993م، ص ص 186-189.

[5]علي بن سعيد، الجغرافيا، تح إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص ص 140-142.

المبحث الأول:
الرحلة والرحالة المسلمون

مفهوم الرحلة

أ. لغة:

حظيت مادة رحل بشرح وافر في العديد من المعاجم العربية،فقد وردت في لسان العرب لابن منظور علىأنهاالترحيل والرحال بمعنى الأشخاص،ويقال "رحل الرجل إذا سار،وأرحلته أنا،ورجل رحول، وقوم رحل أي يرتحلون كثيرا ، ورجل رحال:عالم بذلك مجيد له..."[1].

كما وردت لفظ الرحلة بمعنى من مكان إلى آخر،والترحل الارتحال :الانتقال،وهو الرحلة "والرحلة اسم للارتحال للمسير"[2].

ومن معاني الرحلة التي وردت كذلك في لسان العرب:"الوجه،والمقصد"،والرحلة بالضمالوجه الذي تأخذ فيه وتريده...[3].

كما يعرفها الدكتور "عواطف محمد يوسف نواب":بأنها جاءت بمعنى السير والانتقال والوجهةأيضا،أو المقصد الذي يراد السفر إليه،أو اقتراب وقت الرحيل،ولهذه المعاني كلها ، وكانت"الرحلة "تطلق على من انتقل من مكان إلى مكان آخر،ومنه أخذ لفظ (الرحّال)، وهو الشخص المنتقل من مكان لأخر.[4]

ب. اصطلاحا :تعددت مفاهيم الرحلة في الاصطلاح إلا أنها تصب في معنى واحد:

[1] (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) ابن منظور (ت711ه) ،لسان العرب،تح:عبد الله علي الكبير وآخرون،مج03 ،ج 18،دط،دائرة المعارف، القاهرة،دت،ص1609.

[2]نفسه،مج03، ص1611.

[3] نفسه.

[4]عواطف محمد يوسف نواب ، كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين ، دط ، دار الملك عبد العزيز ، الرياض ، (1429ه ، 2008م)، ص23.

هناك من يعرفها بأنها"الرحلة من الارتحال "وهي الانتقال من مكان إلى آخر لتحقيق هدف معين ماديا كان ذلك الهدف أو معنويا.[1]

وهو ما اتفق عليه معالباحث بطرس البستاني[2].

في حين يعرفها الباحث صلاح الدين الشامي بقوله:أن"الرحلة تظل إنجازا أو فعلا، أو مباشرة لما يعنيه أو يقضيه أمر اختراق حاجز المسافة أو، إسقاط الفاصل الحاجز بين السكان الذي تبدأ،والمكان الذي تنتهي إليه"[3].

ج. **في القرآن الكريم:**ورد لفظ الرحلة في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة قريش[4] لقوله تعالى"لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف"[5]إلا أن المفردات الدالة على الحركة والانتقال كثيرة ومتعددة نذكر منها:جاءت بمعنى الطعن،الهجرة السفر،الإسراء،الحج،السير بالإضافة إلى أنهاجاءت بمعنى البعير أي الراحلة، في قوله جل وعلا"فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون"[6].

---

[1] عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي،الرحلة في الإسلام وأنواعها وآدابها،ط1،مكتبة الدار العربية للكتاب، مصر ،1992م،ص15.

[2] بطرس البستاني،مج8،دط،دائرة المعارف،بيروت، لبنان،1884م،ص564.

3صلاح الدين علي الشامي،الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية،ط2،منشأة المعارف، الاسكندرية ،1999م،ص11.

[4] عبد اللطيف الصعيدي،المرجع السابق،ص15.

[5] سورة قريش،الآيات (1،2،3،4)

[6] سورة يوسف،الآية70 .

ح .**في السنة النبوية:**شجع الرسول عليه الصلاة والسلام أصحابه على الرحلة وحثهم عليها بغية طلب العلم ونشر الإسلام في الكون والتدبر في آيات الله[1]، ومن أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام التي بحث فيها على طلب العلم نذكر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال عليه الصلاة والسلام"من سلك طريقا يطلب به علما سهل الله طريقا إلى الجنة"[2].

ولعل عناية ديننا الحنيف بالرحلة والحث عليها راجع إلى فوائدها ومنافعها الجمة باعتبارهما سلوك إنسانيحضارييؤتى ثماره النافعة على الفرد والجماعة،فليس الشخص بعد الرحلة هو نفسه قبلها، وليست الجماعة بعد الرحلة هي ما كانت عليه قبلها ،وعليه فمن خلال ما تطرقنا إليه في تحديدنا مفهوم الرحلة في اللغة والاصطلاح وكذا في القرآن الكريم والسنة النبوية نجد أن معنى الرحلة واحد وهو الحركة والانتقال من مكان لأخر.

2-دوافع الرحلة:

لاشك أن طبيعة الحياة العربية وتطورها دفعت الإنسان إلى الحركة والانتقال والرحلة وراء سبل العيش والبقاء حتى أضحت الرحلة سمة وميزة في حياته، وهو ما ذكره ابن قتيبة" إن وصف الرحلة احتل المرتبة الثالثة بعد بكاء الأطلال والنسيب"[3].[4]

ولذا تعددت الدوافع والأسباب للرحلة والانتقال من مكان إلى آخر، ومن بلد إلى بلد، ولكنها تختلفمن شخص إلى آخر، ومن زمن إلى زمن،ومن الدوافع:الدافع الدينيويتمثل في:

[1].(نوال عبد الرحمان) الشوابكة، أدب الرحلات الاندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري،ط1،دار المأمون للنشر و التوزيع،الأردن، 2008م،ص21.

[2]-محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الباري، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق مصطفى ديب البغا، ط3، ج1، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، 1407هـ، 1987م،ص37.

[3] النسيب : هو رقيق الشعر ، انظر : ابن منظور ، المصدر السابق ، ص 1620.

[4] نصار حسين ، أدب الرحلة ، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر ، مصر ، 1991م ، ص 4.

أ. **رحلات الحج:** وهو القيام بفريضة الحج "وزيارة الأماكن المقدسة، والاتصال بالمتصوفة والصالحين[1] وكذلك لتلبية نداء الرحمان وتطهير النفس من الدنسوالذنوب وعهدا للسير عل الصراط المستقيم ،أملا في المغفرة"[2].

والحج الركن الخامس من أركان الإسلام لمن استطاع إليه سبيلا لقوله تعالى"ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات"[3]، وعليه كان الحج من بين الأسباب الرئيسية للرحلة، وكانت مكة ملتقى المسلمين يأتون إليها من كل فج عميق فيتبادلون الآراء والمنافع والأخبار[4].

كما أن عودة الحجاج إلى بلادهم تجعلهم يسردون الكثير من القصص والأخبار التي سمعوها في طريقهم، إلى جانب وصف المشاهدات التي رأوها، كما قام البعض بتدوينها لينتفع بها سائر المسلمين؛ وزخرت كتبهم بأحوال سكان البلاد الإسلامية وطبيعة مزاجهم، وأسس اقتصادهم وينابيع ثروتهم ورخائهم[5] وأشهر الرحالةابن بطوطة. [6]

وابن جبير[7]وعرفت مصنفاته مبكتب الرحلة.[8]

العبدري ،أبو عبد الله محمد بن محمدبن علي أحمد بن سعود،تح علي ابراهيم الكردي،ط1،ط2،دار سعد الدين،دم،1999م، [1]ص ص8،7.

[2]فؤاد قنديل ،المرجع السابق ،ص19.

[3]سورةالحج،الآية 28.

محمد محمود محمدين،الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان،ط2،دار الخريجي للنشر والتوزيع،الرياض، السعودية [4]،1996،صص179،178.

[5]أحمد العدوي ،ابن بطوطة في العالم الإسلامي ،دط،دار المعارف،مصر،1954م،ص08.

[6] ابن بطوطة ، هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابراهيم الطنجي ،الرحالة المؤرخ ولد في طنجة يوم الاثنين 17 من رجب سنة 703ه /24 فيفري 1304م ، يلقب بشمس الدين ويعرف بابن بطوطة ينتسب الى قبيلة لواتة البربرية ، انظر : علوي مصطفى ، تلمسان من خلال الرحالة الجغرافيين المغاربة و الاندلسيين من القرن السابع الهجري (13-14م)، اطروحة الدكتورة في تاريخ المغرب الاسلامي في العصر الوسيط ، قسم التاريخ ، جامعة الجيلالي لياس ، سيدي بلعباس ، ص 82.

[7] ابن جبير : هو الرحالة والاديب والكاتب البليغ أبو الحسن محمد بن محمد بن جبير الكناني البلنسي الشاطبي ثم الأندلسي ، ولد سنة 540ه برع في النظم والنثر ، ودون شعره ، وله ثلاثة رحلات إلى المشرق ، مات بالإسكندرية سنة 614م ، انظر : أحمد عبد الرزاق خليل ، جمالية المكان في رحلة ابن جبير الأندلسي ، الجامعة العراقية ، كلية الاداب ، العدد الأول ، ص 340.

أحمد رمضان ،الرحلة والرحالة المسلمون،أكاديمية المملكة المغربية .الرباط،ودار البيان العربي للطباعة والنشر [8]والتوزيع،جدة، السعودية،دت،ص 13.

ب. دافع علمي وتعليمي:

وهي الرحلات التي كان هدفها السعي إلى طلب العلم عملا بقول رسول الله عليه الصلاة والسلام"طلب العلم فريضة على كل مسلم"[1].

وقد أورد المقري(ت:141ه131م) أسماء مايزيد عن 280 شخص رحلوا إلى المشرق لطلب العلم[2]، وذلك بغرض الاستزادة من العلم في منطقة أخرى من العالم التي ذاع صيت أبنائها في مجلات العلوم كالطب والفقه والهندسة والعمارة وغيرها[3].

إلى جانب رغبة الرحالة في لقاء العلماء والمشايخ والأخذ عنهم[4] فقد كانوا يقطعون القفار ويعبروا الأنهار طلبا للحديث النبوي سماعا به أو لمجرد التحقق من كلمة فيه، إلى جانب رحلات البحوث العلمية والكشوف الجغرافية[5] .

ج- دافع اداري وسياسي:

إلى جانب رحلات البحوث العلمية والكشوف الجغرافية نجدالدافع الإداري والسياسي كالوفود والسفارات[6]فعادة ما تكون الرحلة رسمية، يقوم بها الرحالة بطلب من الحاكم لقضاء حاجة قد تتعلق بشأن البلاد،كما قد تخص الحاكم بنفسه[7]، وهذا بغرض توطيد العلاقات أو المناقشة في أمور عديدة، سواء كانت الحرب أو السلامة أو تمهيد لفتح أو غزو أو تجسس[8]

[1]محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، سنن ابن ماجة،ج1، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، لبنان، دت، ص 81.-
[2]محمد محمود محمدين،المرجع السابق،ص177.
[3]محمد فؤاد قنديل،المرجع السابق ص 19.
[4]العبدري،المصدرالسابق،ص10.
[5]قنديل،المرجع السابق،ص20.
[6]فؤاد قنديل ، المرجع السابق ، ص 21.
[7]شوقي ضيف،الرحلات،ط4.دار المعارف،القاهرة،دت،ص09.
[8]قنديل،المرجع السابق،ص20.

أو استطلاع كرحلة سلامة الترجمان عامر(227ه-841م) قصد معرفة حقيقة سد الصين الكبير الذي يقال أن الإسكندر بناه[1].

ونجد أن الرحلة الإدارية أو السياسية قد فرضتها ظروف البلاد إذ اقتضت ضرورة الحكم، والإدارة وتقديم الثروات، وحجم الضرائب أن يكلف الحكام بعض الأشخاص بالقيام برحلات تفقدية لجمع البيانات، والحقائق، وتقديم تقارير سواء أطلق على النشاط صفة جغرافية إدارية، أو لكتابة تواريخ الأقاليم،فقد لعبت الرحلات دورا هاما في أدائها[2].

د.**دافع اقتصادي:**

التجارة كانت من أهم الدوافع التي دفعت الرحالة إلى تدوين رحلتهم ، لتعين القارئ على معرفة طرق التجارة البرية والبحرية، ولعل أول ما ارتبطت به رحلات علم تقويم البلدان والمسالك والممالك لوصف الطرق والمناخ ، والعديد من الأمور الأخرى ، وذلك لمعرفة الطرق إلى مكة للقيام بفريضة الحج،وتسهيل عملية التجارة

في مختلف البلدان والبقاع،وكانت التجارة في موسم الحج ضرورة من ضروريات الحج والمسافة، إذ لابد من الحصول على موارد مالية لتغطية نفقات الرحلة[3].

وبذلك كانت التجارة من العوامل التي تشجع على الرحلات وتنشطها كما أن ازدهار الحضارة الإسلامية وسيادة المسلمين في البر والبحر وطبيعة الدين الإسلامي،كل ذلك شجع على السفر و الرحلة.[4]

و تكون الرحلة بغرض تبادل السلع، أو لفتح أسواق جديدة لمنتجات محلية ،أو لجلب سلع تتوفر في بلاد أخرى وتندر في بلد المسافة، وقد تكون أيضا هربا من الغلاء وسعيا وراء الرخس أو الوفرة أو للعمل[1].

---

[1]شوقي ضيف ،المرجع السابق،ص09

5حسين محمد فهيم،قصة الأنثروبولوجيا فصول في تاريخ علم الإنسان،سلسلة عالم المعرفة،دط ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،1986م،ص 91.

[3]نوال عبد الرحمن شوابكة،المرجع السابق،ص46.

[4]نفسه،ص 47.

ومهما تعددت دوافع وأسباب الرحلات ،إلا أنها أضافت إلى المعرفة الجغرافية باعتبارها مصدر مباشر من المصادر الجغرافية التاريخية الاجتماعية ، كونها تستوفي العديد من الحقائق والمعلومات من المشاهدة الحية والتصوير المباشر مما يجعل قراءتها غنية وممتعة ومسلية،وهذا بفضل الرحالة المسلمين الذين جمعوا تلك القصص والمعلومات أثناء رحلاتهم وأسفارهم[2].

3-نماذج لأشهر الرحالة والجغرافيين المسلمين خلال القرن السابع هجري ثالث عشر ميلادي (7هـ-13م)أ.ياقوت الحموي: هو الشيخ الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي ولا يعلم شيء عن تاريخ مولده، وكل ما يعرف عنه أنه أخذ أسيرا من بلاد الروم وحمل إلى بغداد مع غيره من الأسرى، وبويع فيها فاشتراه تاجر اسمه عسكر الحموي، فنسبى إليه، وقيل له ياقوت الحموي.[3]

وهناك من يقول أنه كان عبدًا رقيقا فقد جرت العادة بتسمية الأرقاء بأسماء الحجارة الكريمة، وقد حاول فيما بعدها باستبدال اسمه باسم مقارب له وهو يعقوب.[4]

كما نجد في كتب أخرى أنه ولد سنة(575هـ/1179م[5]) ببلاد الروم آسيا الصغرى أو بلاد الأناضول، ولذلك يقال عنه رومي ونسبه إلى حماه ترجع إلى سيدة من أهل حماه[6]، حيث أُسر صغيرا وحُمل إلى بغداد ثم بيع في أحد أسواق النخاسة ببغداد إذا اشتراه عسكر بن إبراهيم بن أبي نصر الحموي، الذي كان تاجرًا على سعة من العيش أميا لا يعلم شيء ما عدا التجارة فضم ياقوتًا إلى أولاده، و وثق به وسجله في الكتاب ليتعلم القراءة والكتابة، فتعلم وقرأ الكتب، ونال تعليما إسلاميا جيدا، فاتخذه عسكر كاتبا يساعده في حساباته ومعاملاته، ولما كبر ياقوت انصرف إلى النحو واللغة، واطلع على الكثير من الكتب الموجودة ببغداد

[1]زكي محمد حسن،الرحالة المسلمين في العصور الوسطى،دط،دار المعرفة الرائد العربي،بيروت،لبنان،1981م،ص36.
[2]قنديل ،المرجع السابق،ص20.
[3] ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله، (ت626هـ)، معجم البلدان،ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1979م، ص 06
[4] أغناطيوس يوليا نوقتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى العربية، صلاح الدين عثمان هاشم، مج2، دط، جامعة الدولة العربية،دم، 1957م، ص 338.
[5] فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص ص 434-435
[6] نفسه

التـي احتـوت علـى العديـد مـن العلـوم منهـا، علـم اللغـة العربيـة والنحـو، العلـوم الشـرعية والحساب.من أشهر أساتذته عبد الله بن الحسين العكبري[1](616هـ/1219م)[2].

وما لبث أن صار مساعدًا لمولاه في تجارتـه، وأتقنهـا وهو ابـن 15 سنة، وبقـي يـاقوت يعمـل في نقل البضائع حتى سنة (526هـ/1199م) وحينها بلغ من العمر 21 سنة جرى لـه خـلاف مع سيدة بعسكر بن أبي نصر الحموي.[3]

اشتغل بالكتابة والنسخ، و وضـع كتابـه، معجم البلدان: فقـال عنـه فـي مقدمـة "أمـا بعد فهذا الكتاب في أسماء البلدان والجبال والأودية... والقرى والأوطان والبحار والأصنام رأيت التصدي له واجباء والانتداب له مع القدرة عليه فرضا لازمًا".[4]

ولم يلبث مولاه عسكر أن عطف عليه، فأعاده وعهد إليه بتجـارة سـافر بهـا، ولمـا عـاد وجد مولاه قد مات فأخذ من تركته ما يمكنه من الاتجار ، ثم سافر إلى حلب وجعل يتنقل من بلد إلى آخر، فاستقر في خوارزم، فمكث فيها إلى أن أغار عليها سلطان المغولجنكيز خانسنة (616هـ/1219م) ، فرحـل يـاقوت إلـى الموصـل لا يحمـل شيئا مـن مالـه، ثـم سـار إلـى حلـب وأقـام بهـا، إلـى أن مـات سنة (626هـ/1228م)[5]،وقد استفاد الكثيرون من رحلاتـه الكثيرة، لفوائدهالجغرافية ومعلوماته، وهو كتاب يعد أكمل تصنيف للمعلومـات الجغرافيـة والوصـفية والفلكية وأخبار الرحالين التي جمعها السلف، وما ساعد ياقوت في تأليفه أنه كـان علـى داريـة بجميع المعارف الجغرافية الإسلامية في عهده.[6]

ب-التجيبي: هو القاسم بن يوسف بن محمد بـن علـي التجيبـي[7] السبتي الإمـام المحـدث الرحـال، عـالم دين ولـد التجيبـي فـي مدينـة سبته سنة (670هـ/1272م) فـي عهـد دولـة بنـي مـرين[8]، لا توجـد معلومـات عـن حياتـه العلميـة المبكـرة، غيـر مـا ذكـره الأسـتاذ عبـد الحفيظ منصور في مقدمة كتابه ، وهي أنه درس أشهر الكتب بأسـانيدها ، ككتـاب الكـافي لمحمـد بـن شـريح أبـو عبـد الله الإشـبيلي الـذي أنهـى قراءتـه بسـبتة سـنة (686ه /1287م) ، وهـو فـي

[1]- أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري النحوي، من أشهر كتبه كتاب البيان. أنظر :- صديق بن حسن القنوجي، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، ج2، تح عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1978م، ص 80.

[2]أحمد رمضان أحمد، المرجع السابق، ص 177-

[3] نفسه ، ص 177.

[4] محمد محمود محمدين، المرجع السابق، ص 183.

[5] ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص06.

[6] نفسه ، ص 07.

[7] وتجيب من السكون من ولد أشرس بن كنده، وكان تجيب من أقدم القبائل التي نزلت بالأندلس وديارها في سرقسطة .أنظر: القاسم التجيبي ،مستفاد الرحلة والاغتراب ، تح، عبد الحفيظ منصور،دط،دد،ليبيا ،تونس،1975م ،ص23 .

[8] أحمد رمضان أحمد، المرجع السابق، ص 355.

السادس عشر من عمره ، وتدرجت معارفه بسبب تناوله النص القرأني بالتفسير والتعرف على لغاته سنة (691ه /1292م)، ومنها نهل من مصادر العلوم الدينية و الشرعية وغيرها ، كما ورد أن التجيبي قد تنقل بعد أن كبر في السن إلى مدن المغرب الاقصى حيث توجدمراكز الثقافة ، ولما أتم حفظ القران و الحديث وتفقه في علوم اللغة والأدب[1]. إلتحق بجامعة القرويين بفاس[2] عاصمة بني مرين[3]، وكان السبب لرحلته هو أداء فريضة الحج فكان خروجه من بلاده حوالي سنة (695هـ/1296م) فدخل بجاية، و روى بعض كتب ابن الأبار البلنسي،

وتحول منها إلى تونس وأخذ عن شيوخها، ثم رحل إلى مصر فدخل الإسكندرية والقاهرة سنة (696هـ/1297م) ودون تفاصيل رحلتهبمصر ، ثم خرج من ميناء عيذاب إلى مكة لأداء فريضة الحج (696هـ/1297م).[4]

يتبع التجيبي الأسلوب البسيط الواضح ، المفهوم والدقيق، البعيد عن السجع ، ويظهر ذلك في وصفه للمعالم التي شاهدها في مصر كما يعتمد على بعض المصادر التي كتبها المؤرخون مثال على ذلك عندما تحدث عن جامع ابن طولون، وعند ذكره من بناه فذكر قول ابن عسكر الدمشقي في ذلك، وبدأ التجيبي وصفه لمصر بذكر تأسيس الفاطميين لها، وبناء جوهر الصقلي للقاهرة، ثم ذكر قلعة صلاح الدين وما بها من جامع، ثم وصف القاهرة والأعداد الهائلة من الناس التي تسكنها ويعلل ذلك باستقرار الخليفة العباسي بها، فاستقر بها الأمراء والأجناد وأرباب الصنائع، ويصف بعد ذلك ما بها من المدارس وما يحتويه ،كما وصف التجيبي الأوقاف و البيمارستان المنصوري ويذكر جامع القاهرة، ونجده بفصل عند حديثه عن جامع ابن طولون، ويذكر اعتناء السلطان حسام الدين لاجين[5] بإصلاحه وإنفاق الأموال عليه.[6]

لا نعرف للتجيبي من المؤلفات سوى رحلته "المسماة مستفاد الرحلة والاغتراب" .قال عنها العسقلاني "وهي ثلاث مجلدات ضخمة، وقد حذاحذو ابن رشيد، وكان قد رحل قبله

---

[1] نفسه ، ص 354.

[2] فاس:هي مدينة مشهورة كبيرة في المغرب وبلاد البربر،سكنها طائفة من اليهود. أنظر :ياقوت الحموي ، المصدر السابق ،ج4 ،ص230.

[3] أحمد رمضان أحمد، المرجع السابق، ص355.

[4] التجيبي ، المصدر السابق،ص26.

[5] حسام الدين لاجين: تولى السلطنة بمصر بعد أن خلع العادل كتبغا من السلطة في سنة (696هـ/1296م) ، وأقام في السلطنة مدة عامين وشهر ونصف، وتوفي مقتولا على يد مجموعة من الممالك الأشرقية سنة(698هـ/1298م).أنظر :التجيبي ، المصدر السابق، ص27.

[6] التجيبي ، المصدر السابق ، ص 26.

بعشر سنين، وزاد هو على رحلة ابن رشيد، يتضمن الرحلة مشيخة له مستوعبة بذكر ترجمة الشيخ، وما يمكن من مروياته ويبين ما سمعه منه بإشاداته، ويفعل ذلك في كل بلد دخلها".[1]

توفي القاسم بن يوسف التيجيبي السبتي سنة (730هـ/1330م) وكان عمره حين وفاته حوالي ستين سنة.[2]

ج-ابن سعيد الأندلسي:

هو أبو الحسن علي بن سعيد بن موسى بن عبد الملك[3] ولد في الثاني من شهر رمضان سنة 610هـ الموافق لفيفري 1214م في قلعة يحصب[4] من أعمال غرناطة،[5] كان والده أبو موسى عالما تقيا، مولعا بمطالعة الكتب، وكذلك جده لوالده شجاعا مقداما مواليا للدولة المرابطية، و ينتمي ابن سعيد إلى أسرة بني سعيد التي حكمت قلعة يحصب أو قلعة بني سعيد من أعمال غرناطة في القرنين السادس والسابع الهجري، تلقى ابن سعيد علومه في مدينة اشبيلية، وفي سنة (638هـ-1240م) قرر هو وأبوه السفر لأداء فريضة الحج، فغادر الأندلس وهو في الثلاثين من عمره، وارتحل إلى المشرق حيث أدى فريضة الحج، وطاف بأنحاء العراق والشام ومصر وتونس، وفي طريق العودة توفى والده بالإسكندرية، و واصل ابن سعيد إلى القاهرة، فأقام فيها مدة ثم رحل إلى حلب، ومنها إلى الحجاز ثم زار تونس وأقام بها عشر سنوات وعاد مرة أخرى إلى أرمينيا.وقد التقى في رحلاتهبالكثير من الأمراء المسلمين وعلمائهم، وقد كانت وفاته بدمشق سنة (673هـ-1274) بينما ذكر الخطيب وابن المقري وابن فرحون والسيوطي أنه مات في سنة (685هـ-1286م) وقيل أنه توفي بتونس[6].

---

[1] العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي بن حجرة ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ج3، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، دت ، ص 323.

[2] التيجيبي، المصدر السابق، ص 96.

[3] رحاب عكاوي، المرجع السابق، ص 186.

[4] يحصب: تسمى أيضا قلعة بني سعيد وتسمى اليوم القلعة الملكية، وهي بلدة تقع على بعد 2ك شمال غربي غرناطة، على الطريق المؤدي إلى قرطبة .أنظر: فؤاد قنديل المرجع السابق، ص 451.

[5] المقري (أحمد بن أحمد) ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، تح إحسان عباس ، مج 9، دار صادر ، بيروت ، 1988م ، ص 681.

[6] أحمد رمضان أحمد، المرجع السابق، ص 190.

وقد سجل ابن سعيد أخبار وحوادث رحلاته فيها، فألف العديد من كتب التاريخ التي ما يزال الكثير منها مخطوطا حتى الآن ولاسيما كتاب "المغرب في حلى المغرب" الذي بدأه أبوه وجده من قبله.[1]

على أن كتاب "المغرب في حلى المغرب" قد ضاع معظمه، ولم يبق منه سوى أجزاء بسيطة، تضمنت تراجم لبعض الشخصيات البارزة في الأندلس ابتدءًا من العصر الأموي حتى نهاية عصر الموحدين، وأيضا من المؤلفات التي حُققت ونُشرت كتاب "مختصر الجغرافيا" الذي اقتبس منه أبو الفداء معلومات كثيرة،[2] بإضافة إلى العديد من المؤلفات نذكر منها:

-نشوة الطب في تاريخ جاهلية العرب: يتعرض لتاريخ العرب في العصر الجاهلي.

-المرزمة: ذكره المقري يحتوي على حمل بعير من الكراريس وهو كتاب كبير الحجم.

-المرقصات والمرطبات: كتاب صغير الحجم، يشمل على قطع من النظم والنثر في أخبار المغرب.

-لذة الأحلام في تاريخ أمم الأعجام: يتعرض لتاريخ الأمم العجمية التي اعتنقت الإسلام.

-القدح المعلى في التاريخ المحلى: يحتوي على تراجم لشعراء الأندلس في عصر المؤلف.

-النفحة المسكية في الرحلة الملكية: يحتوي على وصف الرحلة التي قام بها ابن سعيد لأداء فريضة الحج.

-كتاب الجغرافيا.[3]

وكان ابن سعيد من الكتاب القلائل، الذين أتيح لهم الجمع بين الشعرية وعقلية العالم الباحث، كونه يمتاز بدقة الوصف ومتانة الأسلوب وسلامة اللغة وغزارة المادة وغير ذلك؛ وقد ذكر المقري أن ابن سعيد قد كتب أربعمائة مؤلفا ولكنه من سوء الحظ لم ينج من عبث الزمن[4].في التاريخ والجغرافيا.[5]

كونه عاش حياة حافلة بالأحداث والتجارب، قضى معظم حياته في الأسفار ولقاء الرحالة... والملوك وعلماء، وتميزت كتاباته بدقة الملاحظة وجمال السرد، وتخلصت من

[1] نفسه، ص 191.
[2] نفسه ، ص 15.
[3] ابن سعيد، المصدر السابق، ص ص 20،21.
[4] نفسه ص 14.
[5] رحاب عكاوي، المرجع السابق، ص 186.

الغرائب والخرافات، ويعد من أبرز الرحالة الجغرافيين الذين سجلوا تاريخ الأندلس، خلال النصف الثاني من القرن السابع الهجري "الثالث عشر ميلادي".[1]

د.البغدادي: (557هـ-629هـ) (1162-1232م):

هو موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن أبي سعد الذي عرف بابن اللباد ولد سنة (557هـ-1162م) وسمي بالبغدادي نسبة إلى مدينة بغداد [2] درس الطب والفلسفة ،تنقل بين مصر والشام والعراق واتصل بأمراء الأيوبيين واجتمع بأعلام الأساتذة.أهم ما وصل من مؤلفات عبد اللطيف البغدادي كتاب

(الإفادة والاعتبار في أمور المشاهدة الحوادث المكانية بأرض مصر) وهو وصف رحلته إلى مصر مرورا إلى واد النيل في نهاية القرن 6هـ[3] وقد ضاعت شهرة هذه الرحلة وترجمت إلى بعض اللغات الأوربية[4].

ومن خلال كتابه نجد أنه :

وصف قحطا أصاب مصر في تلك المدة وقد بالغ في وصفه حيث قال أن الناس كانوا يأكلون لحوم الموتى له لسان لاذع فبالغ في وصفه لها [5]

وعموما فالكتاب كان طرفه من طرف كتب الرحلات فالبغدادي كان عالما فيلسوفا وناقدا بصيرا فلم يصف ما شاهده فقط بل درسه ومحصه.[6]

قام المستشرق الفرنسي سلفسترا سنة 1225 م بترجمة كتاب البغدادي إلى اللغة الفرنسية ،كما أفرد المؤرخ محمد عبد الله عنان لأبي محمد البغدادي فصلا كاملا في كتابه "مصر الإسلامية" سنة 1353م.[7]

وقد نذر عبد اللطيف البغدادي حياته للبحث والاستقصاء والتأليف فله ما يزيد عن 170 كتاب في الطب والصيدلة والنبات والحيوان والجغرافيا والرياضيات والمعادن والتاريخ والمنطق والفقه واللغة العربية [8]من أشهر الرحالة في الحضارة العربية الإسلامية.[1]

[1] فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص 404.
[2] نفسه ،ص419.
[3] زكي محمد حسن، المرجع السابق، ص 84.
[4]شوقي ضيف، المرجع السابق، ص ص 60-.61
[5] نفسه .
[6]-شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 61.
[7] فؤاد قنديل ، المرجع السابق ، ص 406.
[8] شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 62.

ومن خلال ما توصلنا اليه نجد أن الرحلة من أهم المصادر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية كونها استوفت على العديد من الحقائق والمعلومات من المشاهدة الحية والتصوير المباشر والنقل وذلك لأن الرحالة يتعرف على الكثير من المعلومات التي تخص البلد الذي زاره وبالتالي سيكون لها أهمية بالغة في العديد من الجوانب سواء في الجانب الديني أو الجانب الإقتصادي أو الجانب العلمي ...

[1] علي بن عبد الله الدفاع، رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية الإسلامية، دط، مكتبة النوبة،دم،دت، ص ص 178-182.

المبحث الثاني

التعريف بالعبدري وبكتابه

1-نبذة عن شخصية العبدري:

أ.ولادته ونشأته :

أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن مسعود العبدري،ينتهي نسبه إلى بني عبد الدار بن قصي بن كلاب ،أما عن تاريخ ولادته فيقال أنه عندما قام بالرحلة كان في عنفوان شبابه،كما قال شيخه أبو زيد الدباغ، وعليه إذا افترضنا أنه كان آنذاك في عمر 45 سنة بدليل قوله عن خميس التلمساني الذي كان حين لقيه بتلمسان في 38 سنة من عمره بأنه فتي السنفتكون ولادته حوالي (643ه-1245م) [1].

وهناك اختلاف طفيف في نسبه بين مؤرخي التاريخ الوسيط فيذكر الزركلي أنه محمد بن علي ابن أحمد أبو عبد الله الحاحي العبدري صاحب الرحلة المعروفة باسمه،أصله من بلنسية،ونسبته إلى بني عبد الدار،وكان من سكان بلدة الحاحة في المغرب[2].

أما الكتاني[3] فيذكر أنه العلامة الأديب المحدث المسند الناقد الرحال أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد سعود العبدري الحيحي لقب بأبي البركات[4].

ويذكر الكتاني أيضا أنه أبو عبد الله محمد ابن محمد بن علي العبدري الحاحي الإمام الأريب الألمعي العلامة الرحالة الكاتب البليغ الفهامة[5].

---

[1] العبدري، المصدر السابق، ص ص8،7.

2حاحة هي قبيلة مغربية شهيرة تقع على ساحل المحيط الأطلسي،وهي تضم مجموعة من القبائل والمغربيين ، وهي تبعد عن الصويرة بحوالي 60كيلوا متر، وهي واقعة على شاطئ المحيط الأطلسي بالمغرب، ويطلق عليها اسم سيديابو البركات..(. انظر العبدري،المصدر السابق .ص88.

الكتاني :هو محمد ابن احمد بن سعيد بن جبير بن محمد ابن عبد السلام الكتاني الواصل إلي الأندلس كان أديبا شاعرا فاضلا ولد ببلنسية عام 539ه -1144م ،توفي باالإسكندرية ،انظر :محمد ابن جبير الكتاني الاندلسي

[3] البلنسي ،الرحلة ،مركز ودود للمخطوطات ،دم،دت،ص ص18،22.

خير الدين الزركلي ،الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمسشرقين،ج7،ط15،دار العلم ، بيروت، لبنان،2006م،ص32[4]

[5] عبد الحي الكتاني بن عبد الكبير ،فهرس الفهارس الأثبات ومعجم المعاجم واالمشيخات والمسلسلات ج1،ط2،دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1982م،ص809.

وفي نفس السياق يذكر الدكتور أحمد رمضان أننسبه ينتهيإلى جده علي عبد الدار بن قصي القدسي،فهو عربي كزميله الرحالة الأندلسي ابن حيبر الذي سبقه إلى الرحلةالحجازية بتسعة وثمانين عاما، وقد فر أحدهما إلى الأندلس منذ الفتوح الإسلامية الأولى، ومن المعروف أن أصل العبدري من مدينة بلنسية التي كانت مستقرالبطون العربية منذ الفتح الإسلامي،فقد ذكر لنا ابن غالب في كتابه" فرحة الأندلس" أن كثير من البطون العربية استقرت بالأندلس، وذكر لنا من منازلهابلنسية وأريولة وأشبيلية و غرناطة ووادي أش.كما أنه عاش العبدري وأسرته فترة من حياته بصويرة في المغرب الأقصى حين عزم على الخروج لتأدية فريضة الحج[1].

جاء في كتاب الرحلة المغربية المقدمة من قبل الباحث سعد بوفلاقة أنه محمد بن علي بن أحمد بن مسعود(سعود) أبو عبد الله الحاحي المشهور بالعبدري نسبة إلى بني عبد الدار، وهي قبيلة من جنوب المغرب الأقصى، وهو صاحب الرحلة المعروفة باسمه أصله من بلنسية الأندلس كان يسكن في بلدة حاحة بالمغرب الأقصى، وكذلك أقام مدة من الزمن في قرية تقع على الطريق بين بسكرة وتوزر بالمغرب الأوسط[2].

أما الباحث علي إبراهيم الكردي فيذكر أنالآراء تعددت في أصله فبعض الباحثين الذين ترجموا له يعدونه أندلسيا هاجر إبان اشتعال الأندلس بالحروب والفتن، ثم استقر في حاحة على شاطئ المحيط الأطلسي[3].

وبعضهم يرى أن أسرة العبدري كانت تقطن في بلنسية[4] ثم هاجرت إلى المغرب وأقامت فيه وهناك كانت ولادة المؤلف ،ولعل نشأة العبدري في حاحة حملت الأستاذ القاض المكناسي[1]على القول إن العبدري مغربي لا أندلسي.[2]

---

[1]أحمد رمضان،المرجع السابق،ص347.
[2]العبدري،المصدر السابق، ص ص7 ،8.
[3]العبدري ،المصدر السابق ،ص8.
[4]ياقوت الحموي ،المصدر السابق ،ج1،ص581.
بلنسية :مدينة مشهورة في الأندلس ،وهي شرقي قرطبة ،ذات اشجار وانهار ،تعرف بمدينة التراب انظر :-

ويرى الدكتور شوقي عطا الله أن العبدري ولد في فاس ،وأن زوجته من قبيلة حاحة ،وقد تفرد بهذا الرأي ،ويبدو أنه أخلط بين رحالتنا وبين ابن الحاج الفاسي صاحب كتاب المدخل[3].

يبدو أنا الأمر قد التبس على الزركلي إذ صنع ترجمتين متتاليتين للعبدري على أنه شخصان ،وكذلك فعل عمر رضا كحالة ، ولذلك فإن الترجمتين لشخص واحد وهو العبدري صاحب الرحلة أما كنية أبي محمد فقد أتت من ذكر ابنه محمدا الفاسي لما جاء في صدر بعض نسخ الرحلة المخطوطة ،كما أن البلوي الذي رحل إلى المشرق بسنوات الثانية وكناه أبا عبد الله .[4]

ب .صفاته:

حفلت رحلة العبدريبتدوين شهاداته والتي أظهرت دقته في تسجيل ملاحظاته،إضافة إلى وجود الكثير من المباحث الفقهية واللغوية والأدبية والأبيات الشعرية التي امتلأت بها رحلته ،فمن خلال هذا يظهر لنا العبدري العالم المثقف المتمكن في عمله ،إذعزم على مناقشة القضايا التي أوردها كان يعتمد على ما سبق كتابته في نفس الموضوع مع ترجيح بعض المعلومات على بعضها الآخر من ناحية علمية [5]

لدراسة شخصية العبدري نجد أن المعلومات شبه منعدمة لضياع أكثر أخباره، وسنعتمد على شعره وعلى ما تناثر من أخبارهعند بعضالعلماء الذين لقيهم

3 أحمد بن محمد ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، ج1 ، دط ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط، المغرب، 1973م، ص ص 288،286 .

[2]نفسه

[3]علي ابراهيم الكردي،أدب الرحل في المغرب والأندلس ،ط2،منشورات الهيئات العامة السورية للمكتبات ،دمشق، سوريا،2013م،ص ص84،83.

[4] نفسه .

[5] عواطف محمد يوسف نواب ، المرجع السابق ، ص 1106.

في رحلته، و من خلال أقوالهم فيه في معرفة جزء من صفاته، وأول ما وصلنا في شخصية العبدري هو حرصه على مكارم الأخلاق وبره بأبنائه فقد خاطب ابنه قائلا :

أصخ سمعا أوصيك يا بني وصية والد بر خفي

جري القدر والمتاح لنا يبين قضاء جاء من ملك علي

وأبدت الماقي منكراها دموعا فيضها مثل الأتي[1]

وتتصف شخصية العبدري بالصراحة في كل ما كتبه ،وقد كان وفيا لما قرره في مفتتح رحلته حين قال"وبعد فإني قاصد بعد استخارة الله سبحانه إلى تقييد ما أمكن تقيده ورسم ما تيسر رسمه وتسويده مما سما إليه الناظر المطرق في خبر الرحلة إلى بلاد المشرق من ذكر أوصاف البلدان وأحوال من بها من القطان ،حسب ما أدركه الحس والعيان،وقام عليه بالمشاهدة شاهد البرهان "[2].

ويرى صلاح الدين المنجد أن العبدري اختص بميزة في رحلته لم يشاركه به أحد من الرحالين وهي الجرأة في التعبير عن رأيه وشعوره ،والنقد اللاذع فمن ذلك قوله في مدينة قابس وأهلها "ثم وصلنا إلى مدينة قابس ،ذات المخبر الخبيث والمحيا العابس ،هواء مخيم ولؤم طبع وخيم"[3] وبعضهم يجلس معهم طوال النهار وهو يملي عليه فلا يقوم إلا لتحديد الطهارة .والعبدري رجل متمسك بدينه متطلع بالفقه مطلع على كتب الحديث المختلفة [4].صحيحة وضعيفة،عارف بعلله وأحكامه،لذلك لم يكن يؤمن إلا بما يطابق تعاليم القرآن وما صح على النبي صلى الله عليه وسلم،ونراه يحارب الخرافات وندد بمن يعتقدها،ويخضع كثيرا إلى منطق والعقل والعلم،فنراه مثلا عند كلامه عن الغار الذي دخله النبي عليه الصلاة والسلام وأبو بكر الصديق في جبل ثور عند هجرتهما إلى المدينة يذكر أنه "غار له بابان أحدهما ضيق أقل من

[1] العبدري ، المصدر السابق ، ص 28.
[2] العبدري ، المصدر السابق،ص302.
[3] نفسه ، 164.
[4] نفسه

شبرين فيتكلفون النفوذ فيه،وشاع من جهلهم أن من ينفذ به فهو ولد زنى،وتقرر ذلك في معتقدهم الفاسد"[1].

ومن ذلك أيضا أنه أخبر أن بمدينة عسقلان بئراعظيمة متقنة العمل في مسجدها ،عجيبة الصفة تعرف ببئر إبراهيم قال:"ويحكى من فضائلها أشياء لا تقع الثقة في صحتها"[2].

يظهر أن شخصية العبدري راقية وذلك من خلال ما تبرزهأخلاقه التي طبعت على الخير فهو إنسان مؤمن كل الإيمان بالله تعالى،وتتمثل أخلاق المسلم الحق من صدق وأمانة في الرواية وحرص على العلم،وتحلى بمكارم الأخلاق، إلى جانب إنكاره المنكر وابتعاده عن العقائد الفاسدة.

3/حياته العلمية وبعض مشايخه:

لا يذكر العبدري شيئا عن دراساته الأولى، ولا تحدثنا المصادر في معرفة بدايات تكوينه الثقافي ولا يستبعد أنه تعلمه الأول كان على يد والدهالمعلم، كما دخل الكتاب مثلما كانت العادة في بلدة حاحة،فحفظ القرآن الكريم، وتعلم على الطريقة المتبعة حينئذ من التدرج في حفظ القرآن والمتون،وتعلم العمليات الحسابية ثم ارتقى إلى أن أصبح من الطلاب المميزين، ثم انتقل إلى مراكش التي كانت مركزا عمليا مرموقا آنذاك فأخذ عن علمائها ومنهم محمد بن علي بن يحي الشريف الذي كان شيخه صاحبه ابن عبد الله المراكشي.[3]

تحدث العبدري عن كثرة مشايخه،وتنوع ثقافتهم ، لذلك أتقن كثيرا من الفنون، والتي ظهرت في رحلته التي بدا فيها المؤلف حافظا للقرآن الكريم والحديث، مطلعا

[1] نفسه،ص391.
[2] عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي ، ج6 ،ط1، دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان ، 1983م، ص 401.
[3] ابن عبد الله المراكشي :هو محمد ابن محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي الأنصاري الأوسي ، مؤرخ وقاض وأديب ، ومفتي ومقرئ ، ولد 10ذي القعدة 634ه ، توفي 703ه ، دفن بتلمسان ، ، انظر ، العباس بن ابراهيم السملالي ،الإعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام ، ج9، ط2، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1993م ، ص ص 356، 355.

على الأدب العربي نثره وشعره...عارفا بأيام العرب وغزواتهم متحدثا عن خطاياهم،وله معرفة بالأسماء والألقاب والكنى وأسماء الأماكن وبمصطلحات علوم الأدب والبلاغة والعروض[1].

وقد التقى كثيرا من الناس في رحلته ، وقد عاملوه بقدر كبير من الإجلال والتقدير اللذين يتناسبان ومكانته العلمية ،فقد كانالعبدري يعامل باحترام حيثما حل لأن مناقشاته العلمية ومناظراته كانت مثار إعجاب هؤلاء، وموضع تقديرهم فالشيخ تاج الدين الفراغي على علو منزلته كان يعامله معاملة الند فيأخذ كل منهما عن الآخر يقول العبدري "وقيد اسمي ونسبي في برنامج شيوخه وقيد عني أبياتا من شعري،وكتب بخطه جميع القصيدة التي كتبتها لولدي محمد[2]. أما الشيخ شرف الدين الدمياطي فقد كتب له ولأبنائه الثلاثة بالإجازة على صغر سنهم[3].وهذا هو الشيخ المسن أبو القاسم الحضرمي البيدي يقدمه إماما في الصلاة مع أنه قارب التسعين من عمره.

وبلغ من علم الرجل ومكانته أنه أمسك عن الأخذ عن رجال رآهم دونه في العلم،ولا يحسن له أن يأخذ عنهم، فلم يأخذ عن محمد بن عبد السيد في طرابلس ولا عن أبي البدر[4]بن جماعة[5].

تدل قراءات وسماعات العبدري التي سمعها من الشيوخ على علو درجته في علم الأدب، فقد كان واسع المحفوظ، ويقول الشعر ، وإلى جانب ذلك كان أيضا أديبا وناقدا، ولكن نقده كان لاذعا ومن شيوخه أيضا:محمد بن صالح الكتاني الشاطي(ت699ه) وكان عالما بالحديث لقيه العبدري في بجاية وقرأ عليه بعض كتاب الموطأ، وبعض كتابي التيسير في القراءات و كتاب المقنع في رسم مصاحف

[1]إبراهيم الكردي ،المرجع السابق،ص83.
[2]العبدري ، المصدر السابق، ص ص266-268.
[3]الشاهدي الحسن ، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني ج1 ،منشورات عكاظ ، دم، 1990م ، ص 180.
[4]- توفي سنة 733هـ بالقدس. أنظر العبدري، المصدر السابق، ص 473.
[5]نفسه.

الأمصار لأبي عمرو الداني(ت144ه) وجميع قصيدة الشاطبي في القراءات وبعض كتاب شمائل النبي صلى الله عليه وسلم للترميذي، وبعض كتاب رياضة المتعلمين للحافظ أبي نعيم(ت430ه)، وكتاب فضل قيام الليل، وفضل تلاوة القرآن للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري،كما قرأ عليه قصيدة معراج المناقب لابن أبي الخصال وأنشده بعض شعر محمد ابن برطلة (ت661ه)وأجازه إجازة عامة[1].

وشيخه الحسن بن بلقاسم بن باديس (ت688ه)فقد لقيه في قسنطينة وسمع عليه صدرا من الموطأ.

ولقي حسين بن محمد الطبلي (ت 688ه) في باجة وقرأ عليه بعض كتاب "المقرب في النحو"لابن عصفور.[2]

كما لقي أيضا أبو محمد بن هارون (ت 702) في تونس فقرأ عليه بعض كتاب"الموطأ"وبعض كتاب "التسيير" للداني وبعضا من "صحيح مسلم"وقرأ عليه فهرسة جده أبي جعفر بن خلصة الحميري وفهرسة أبي القاسم بن بقي ، وقرأ عليه برمجة في أسماء شيوخه وكتاب" الوعد والإنجاز" لابن الطيلسان (ت642ه) وكتاب "درر السمط في خبر السبط" لابن الأبار (دت 658).

ومن الذين لقيهم أيضا أبو جعفر اللبلي(ت691ه) في تونس،وقرأ عليه بعض "الموطأ" و"جامع الترميذي" وكتاب"شمائل النبي" وقصيدة الشاطبي في القراءات وكتاب التسيير للداني وأجازه إجازة عامة.[3]

ولقي أبو عبد الله بن هريرة (ت691ه) في تونس وقرأ عليه كتابه الذي جمعه في "وفيات المشاهير"وقرأ عليه "القصيدة الشقراطسية" لأبي محمد عبد الله الشقراطسي(ت466ه).أما أبو زيد الدباغ (ت 699ه) عالم الحديث والفقه فقد لقيه العبدري في القيروان وقرأ عليه بعض أحاديثه الثنائية للإسناد من حديث مالك بن

[1] نفسه ،ص09.
[2] العبدري ، المصدر السابق ، ص 176.
[3] عواطف يوسف نواب ، المرجعالسابق ص118.

أنس،وبعض أحاديثه التساعية وناوله "الأحاديث" الأربعين في عمور رحمة الله لسائر المؤمنين"وسمع عليه كثيرا من أحاديث .وأما أبو العباس الغماز (ت693ه) فقد لقيه في تونس وأخذ عنه "جامع البخاري وسمع عليه دولا من الموطأ"، و"صحيح مسلم وسنن ابن داوود"، وجامع الترميذي" وقرأ عليه "أكثر التسير"لأبي عمرو الداني،وقرأ عليه برنامجه في أسماء شيوخه وسمع منه دولا من كتاب"الاكتفاء" في مغازي رسول الله عليه الصلاة والسلام و"مغازي الثلاثة الخلفاء "لأبي الربيع بن سالم (ت643ه) وكتاب مفاوضة القلب العليل لأبي الربيع بن سالم ودولا من التسيير لأبي عمرو والداني وأجازه إجازة عامة.[1]

ومن شيوخه أيضا :

أبو الحسن بن رزين المرسي(ت692ه) وله عناية بالأدب، لقيه في تونس فقرأعليه "فهرسته في أسماء شيوخه"وكتاب" الصلة" لعلي بن باشكوال وقرأ عليه " الأمثال الكامنة في القرآن" وأجازه إجازة عامة.[2]

أبو الحسن التجاني (ت714ه) لقيه في تونس فقرأ عليه "المقامة النحوية" لمحمد بن عياض الليثي، وقصيدتهالتي نظمها ابن الأبار،ومقامات الحريري""ورياضة المتعلمين "للحافظ أبي نعيم[3].

أبو العباس أحمد بن محمد بن ميمون الأشعري المالكي (ت688ه) :لقيه العبدري في تونس وقرأ عليه أشعاره في الزهد،وقصيدته التي نظمها في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام.[4]عبد الله بن يوسف بن موسى الأندلسي(ت697ه) :لقيه في تونس وقرأ عليه الأربعين حديثا،لمحمد بن مسدي(ت697ه) وكتاب"الإعلام بحدودقواعد الإسلام" للقاضي عياض بن موسى "ومختصر السيرة"لأحمد بن فارس

[1] عمر فروخ ، المرجع السابق ،ج6 ، ص 402.
[2] العبدري ، المصدر السابق، ص521.
[3] نفسه،ص521.
[4] العبدري ، المصدر السابق ، ص 289..

اللغوي،وكتاب "الموجزفي حصر الأحاديث الضعيفة"لأبي حفص عمر بن بدر الحنفي (ت622ه) وأنشده كثيرا من الشعر.[1]

محمد بن أبي القاسم القسي (ت708ه) : لقيه في تونس وقرأ عليه جزءا [2]جابر بن محمد الوادي

اشي (ت 694ه) : لقيه العبدري في تونس ، وقلأ عليه القراءات السبع وأرجوزة السخاوي ، وأجازه إجازة عامة .[3]

أبو القاسم بن زيتون (690ه) : لقيه في تونس وأجازه إجازة عامة .[4]

يوسف بن ابراهيم بن عقاب الجذامي(ت692ه) :لقيه في تونس وسمع عليه أحاديث من "الموطأ "و"جامع البخاري""وسنن الدارقطني".[5]

أبو عبد الله بن صالح (ت688ه) :لقيه في تونس وقرأ عليه برنامجه في أسماء شيوخه وبعض"درر السمطلا بن الأبار،وبعض كتاب "المحتوى على الشواذ من القراءات"وكتاب"القربة إلى رب العالمين في فضل الصلاة على سيد المرسلين"و"مختصرحلية الأولياء"وكتاب مصابيح السنة تأليف الحسين بن مسعود(ت642ه).[6]

أبو العباس البطراني (ت642ه):لقيه في تونس وقرأ عليه "الأربعين حديثا المسلسلة" لأبي الحسن بن المُفضِّل المقدسي(ت611ه) وأجازه إجازة عامة.

---

[1] نفسه ، ص 497.
[2] العبدري ،المصدر السابق ، ص 534.
[3] أحمد ابن محمد ابن مخلوف ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، دم ، دت ، ص 217.
[4] العبدري ، المصدر السابق ، ص 519.
[5] نفسه
[6] عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ،ط3، مؤسسة نويهض للثقافة للنشر ، لبنان ،1983م، 135.

أبو الحسن بن منير(ت691ه) :لقيه العبدري في الإسكندرية، وقرأ عليه بعض شرح الجزء الثاني من مختصر ابن الحاجب في الفقه على مذهب الإمام مالك[1].

تاج الدين الخرافي (ت704ه) :لقيه في الإسكندرية وقرأ عليه ثلاثيات البخاريوسمع منه صحيح البخاري، وسمع منه بعض الشعر وقرأ عليه بعض كتاب "شرح الوصيد في شرح القصيد" للسخاوي،وقيد اسم العبدري ونسبه في برنامج شيوخه[2].

محي الدين المازوني(ت693ه) :لقيه في الإسكندرية وسمع عليه كثيرا من الشعر شرف الدين الدمياطي (ت705ه) :لقيه في القاهرة،وكتب عنه أحاديث كثيرة وأنشده كثيرا من الشعر[3].

ابن دقيق العيد (ت702ه): لقيه في القاهرة وأجازه في جميع مسموعاته،وجميع ما صدر عنه من نظم ونثر[4].عبد السلام بن محمد بن مزروع البصري الثمار (ت696ه):لقيه العبدري في الحرم النبوي وسمع منه عددا من الأحاديث النبوية الشريفة،وأجازه إجازة عامة [5]

أبو الحجاج بن يوسف بن حكم التجيبي ت691ه):لقيه العبدري في مكانته أثناء عودته وقرأ عليه الحديث من "الموطأ"[6].

ودون العبدري في رحلته إلى جانب شيوخه أسماء أصحابه الذين روى عنهم،وسجل ذكرياته معهم،وأورد عنهم كثيرا من مروياتهم وأشعارهم كالشاعر ابن خميس التلمساني(ت703ه) الذي أثبت له كثيرا من شعره.[7]

---

[1]. العبدري ، المصدر السابق ، ص 228.
[2] نفسه ، ص 24.
[3]نفسه،ص245.
[4] محمد ابن محمد مخلوف ، المرجع السابق،ص222.
[5] العبدري ، المصدر السابق ، ص 429.
[6]نفسه ،ص564.
[7] العبدري ، المصدر السابق ، ص 53.

ولعلنا نجد في بعض النماذج التي سنوردها من رحلته دليلا واضحا على سعة ثقافة العبدري،وتنوع معرفته ومدى ما أفاد من شيوخه:فقدقال في ذكر مدينة بونة مستخدما بعض مصطلحات العروض في وصفها:ثم" وصلنا إلى مدينة بونة[1] فوجدناها بطوارق الغير مغبونة ،مبسوطة البسيط،ولكنها بزحف النوائب مطوية مخبونة"[2]._وأدل دليل على عمق ثقافة العبدري وتمكنه من العلوم المختلفة تصديه بالنقد لمشاهير العلماء وتغليطه لهم مع ما يتحلون به من مكانة علمية مرموقة.[3]

فهو لم يتردد في نقده القاضي عياض بن موسى، وتغليطه فيقول عند الكلام على الجحفة قال القاضي العياض:إنما سميت الجحفة من سبب سيل الجحاف الذي إجتحف الحجاج عام ثمانون ولا أدري كيف ينطلق اللسان بحكاية مثل هذا ؟وبعد أن يحكي كيف لا ينتبه عليه؟وذلك أنها تسمى الجحفة قبل الإسلام وإلى الآن...وكان سيل الجحاف في إمارة عبد الملك بن مروان وكيف سميت به قبل وجوده وأغرب من ذلك أن سيل الجحاف كان بمكة واجتحوا الحجاج من المحصب،وذهب بهم وبأمتعتهم وهدم مكة دور كثيرة ودخل المسجد الحرام، وأحاط بالكعبة،وكان ذلك سحر يوم الزوية من عام الثمانين وما شأنه والجحفة حتى سميت به؟ وهذا مما يكون الإضراب عنه حفصا أولى[4].

وتصدى العبدري لأبي القاسم السهلي(ت518ه) وصحح له كثيرا من المعلومات التي أوردها في كتابه" الروض الأنف "[5].

وتعقب العبدري ابا عبيد الله البكري في مصنفه"المسالك والممالك"خطوةبخطوة،وصوب له المعلومات التي أوردها وكانت تصويباته صادرة

[1] بونة ، معرفة في المبحث 03.
[2] مخبونة : معناها مقلصة ، انظر : العبدري، المصدر السابق ،ص ص104-284.
[3] نفسه .
[4] نفسه،ص350.
[5] هو كتاب العروض،الأنف في شرح السيرة النبوية لأبي القاسم السهيلي،طبع غير مرة. انظر، العبدري ، المصدر السابق ، 352

من مشاهداته،لأنه رأي المواضع وعاينها مما جعل كلامه يتصف بالدقة والموضوعية.[1]

وقد أودع في مسالكه من الغلط في صفات البلدان، وتحديدها وترجمتها إلى مالا غاية [2]ومما يضاف إلى ما تقدم أن العبدري كان عارفا باللغة البربرية ومتقنا لها ، ولا عجب في ذلك لأن قبيلته كانت تستوطن في منطقته يقطنها البربر، وآية ذلك تغليطه لأبي عبيد البكري في تسميته"تاد مكة''"بقوله:ومن ذلك أنه ذكر بلاد الصحراء بلدة يقال لها:تاد مكة وترجمها فقال:معنى الهيئة:أي أنها على هيئة مكة،وليس معنى تاد الهيئة كما ذكر،ولا الهيئة اسم لسانهم البتة ،وإنما معنى تاد هذه،وهي من أسماء الإشارة عندهم،يقولونلهذا:واد ولهذه تاد،ولهاتين وهؤلاء تيد،وليس للمكنى عندهم عبارة سوي الجمع إلا في ألفاظ العدد فمعنى تادمكة:أي مشبهتها".[3]

أ:أسلوب العبدري ومنهجه في تأليف الرحلة

اعتمد العبدري في رحلته على منهج واضح يجمع بين الوصف والسرد والنقد. و أوضح في مقدمة الرحلة منهجه في تأليفها فقال:...وبعد فإني قاصد بعد استخارة الله سبحانه وتعالى إلى تقييد ما أمكن تقيده،ورسم ما تيسر رسمه وتسويده، متسما إليه الناظر المطرق،في خبر الرحلة إلى بلاد المشرق من ذكر

بعض أوصاف البلدان[4]،وأحوال من بها من القطان حسبما أدركه الحس والعيان وقام عليه بالمشاهدة شاهد البرهان،من غير تورية ولا تلويح،ولا تقبح حسن ولا تحسين

[1] العبدري ، المصدر السابق ، ص 338.
[2] نفسه ، ص 339.
[3] نفسه ، ص 12.
[4] علي بن عبد الله الدفاع ، المرجع السابق ، ص 191.

ولا تقبيح بلفظ قاصد يحج معردا ولا يجمع فيتعدى المدى مسطرا لما رأيته بالعيان، ومقررا له بأوضح البيان"[1].

وكان العبدري دقيق الملاحظة والمشاهدة ،فلقد كان دقيقا في تقديم ترجمة وافية للعلماء والأعلام الذين لقيهم وأخذ عنهم ونلمس ذلك بوضوح في التصوير والمشاهدة ونقل الأوصاف لكثير من المدن والأماكن والبقاع التي زارها في رحلته، وهذه الدقة ماهي إلا وسيلة اعتمد عليها العبدري في مهمته العلمية التي أداها على أكمل وجه، فاستطاع بواسطتها أن يرسم لوحة فنية رائعة زاهية الألوان بديعة التفاصيل.[2]

وللعبدري أيضا قدرة فائقة على نقل ما تلتقطه عيناه بدقة وعناية كوصفه لقصر المنارة في غربي القيروان"...ومنها قصر يعرف بالمنارة غربي القيروان...مبني من صخور منحوتة موضوع على استدارة كأنه مخروط من عود، وفي أعلاه طوق ناشئ من تلك الصخور، وفي أعلى القصر من كل جهة صخور بارزة عظيمة قد نحتت مستديرة[3].

و كان وفيا لهذا المنهج الذي ارتضاه لرحلته مطبقا له فقد وصف البلدان وصفا دقيقا بمبانيها وأثارها،وكثيرا ما كان يعرج على أهلها فيصف عادتهم وتقاليدهم ولباسهم ومستواهم العلمي ،ولم يكن تساهلا في النقد ما كان يراه غير طبيعي سواء في أخلاق الناس[4]أو في عادتهم وخصوصا فيما كان يتعلق

بالناحية العلمية للبلاد التي كان يدخلها كحديثه عن طرابلس"...ثم وصلنا مدينة طرابلس،وفي الجهل مأتم،وما للعلم فيها غرس...."[5]وهذا ما جعل بعض

[1] إبراهيم علي الكردي،، المرجع السابق، ص12.
[2] نوال الشوابكة ، المرجع السابق ، ص 263.
[3] العبدري،المصدر السابق،ص341.
[4] خير الدين الزركلي ، المصدر السابق ، ج2، ص 6.
[5] العبدري ، المصدر، السابق ،ص12 ،13.

الباحثين يصف اراءه بالتطرف[1] لأن العبدري لم يترك بلدا دون أن يوجه إليه نقده بصراحة .[2]

اعتمد العبدري على الأدلة والبراهين والفوائد في هذه الرحلة فنجده حريصا على استكمال أدوات بحثه العلمي إذا جاز لنا التعبير ضمن هذه الصيغة من خلال كلامه، والمقصود أنه أدرك تمام الإدراك طرق النقل للأفكار والمعلومات والأخبار التي كون منها مادة رحلته وجوهرها إلى القارئ وإقناعه بها معتمدا على الأدلة والبراهين التي تجسدت في السماع عن العلماء،وأصحاب الثقة بالمشاهدة العينية كما رأينا، وفي تقديم الفوائد التي تعني ثقافة القارئ، وتعكس سعة علم العبدري وكثرة اطلاعه [3]

فالنص غني بالفوائد اللغوية والثقافية والإسلامية فقد جمع بين المتعة والفائدة والفقه والأحاديث النبوية والآيات القرآنية والأشعار والأدب والأقوال والوصف للأوضاع الثقافية ، فقد أمتعنا العبدري بأسلوبه الأدبي الرائع وعباراته الأنيقة بنقله أحداث رحلته التي شابهت المغامرات في بعض الأحيان[4].

فهو لديه أسلوب أدبي جميل وعباراتهعذبة مشوقة بحذق،و هو دقيق في اختيار اللفظ الدال على المشاعر والمناسب للمقام،مستعملا تصويره وحذقه في النقل،كما في قوله: "جفت سواقي المعرفة "وقوله: وجئنا قسنطينة ،شفى الله جراحها،فضلا عن في الاستعانة بالشعر في تطريز كتابه وأغلبه في نظمه[5].

3.دراسة مصنف الرحلة:

[1] نفسه .
[2] مثل حسين مؤنس نعت العبدري بالتطرف والتعقيد ، انظر : حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص 12.
[3] رضا عمر كحالة ، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ، ج03 ، مؤسسة الرسالة ، دت ، ص 429.
[4] فاتن كوكة، الجانب العلمي في رحلة العبدري ، مجلة جامعة،دمشق،مج31،العدد الثالث،ص25.
[5] قنديل،المرجع السابق،ص466.

أ: الدراسة الظاهرية :

"رحلة العبدري" مكونة من كلمتين "رحلة" من رحل يرحل ورحيلا وترحال والرحلة الجهة التي يقصدها المسافر وهو ما تمر ذكره سابقا.[1]

أما الكلمة الثانية "العبدري" وهو الرحالة

وبالتالي فرحلة العبدري كتاب يصف فيه الرحالة ما شاهده ، ويتحدث عن لقائه بالعلماء أثناء سفره إلى البقاع المقدسة، وهو عبارة عن رحلة دينية تضمنت الجانب الاجتماعي من خلال ذكره لأحوال الناس القاطنين بالمدن التي مر بها بالإضافة إلى مزجه للمضمون الجغرافي من خلال وصف المدن.

أما في الوصف الظاهري للكتاب، فقد اعتمدنا في هذه الدراسة على كتاب رحلة العبدري المحقق من طرف الدكتور علي ابراهيم الكردي ، والذي أضاف له تعليقات واحالات وشروحات عديدة، وقد حُقق هذا المؤلف ثلاث مرات فالأولى كانت من طرف الأستاذ بن جدو، وطبعت بقسنطينة، الجزائر، والثاني كانت من طرف محمد الفاسي 1968م بالرباط بالمغرب الأقصى، أما الثالثة فقد كانت من قبل علي ابراهيم الكردي 2005م.[2]

وأيضا قام بتقديمه سعد بوفلاقة 2007م، تحت عنوان الرحلة المغربية، أما النسخة التي اعتمدنا عليها، فقد قامالمحقق فيها بتقديم للمؤلف وكتابه، وانتهى عند الصفحة 25 حيث أوجز فيه، ترجمة للمؤلف وتعريفا بالنسخة المعتمدة في التحقيق وصفتها الظاهرية ومكانتها، و ذكر أسباب الرحلة ومدتها إذ يقول فقد كان وراء العبدري سببان

أولا-سبب ديني:

تمثل في القيام بفريضة الحج وزيارة الأماكن المقدسة ، واتصال بالمتصوفة والصالحين، وقد صرح العبدري مبررا أنه كان ينوي الإقامة بمكة، والمجاورة بها

[1] عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي ، المرجع السابق ، ص 15.
[2] العبدري، المصدر السابق، ص 09.

وأنه اكترى المنزل وجهز لوازمه وصرف الركبة إلى المغرب، لولا حدوث فتنة هناك أرغمته على الرحيل من مكة.[1]

ثانيا- رغبة في لقاء العلماء والمشايخ

والأخذ عنهم، فقدكان العبدري حريصا على الأخذ من العلماء والمحدثين ورأينا العبدري في تساؤل دائم عن الأحوال العلمية والثقافية في البلاد التي مر بها، فإذا صادف مجموعة من العلماء في بلد من البلاد طرب لذلك وانشرحت نفسه، فانطلق لسانه، ثناءا وحمدا كما حدث سنة في تونس، وإذا لم يجد هذا النوع من العلماء هجا بلسانه السليط عن هذه البلاد وأهلها كصنيعة في قابس وطرابلس وبجاية.[2]

أما مدة الرحلة فيبدوا أنها استمرت أكثر من سنتين حيث أن العبدري زار تونس مرتين في طريقة ذهابه إلى الحج سنة (688هـ-1292م) وعند رجوعه سنة (691هـ-1292م)، فعلى هذا يكون العبدري قد تمضى 3سنوات في رحلته.[3]

حسب المحقق يذكر أن البلوي ذكر أن العبدري أورد أبيات شعرية في رحلته فقال أنشدها في تونس في رجب سنة (690هـ-1291م) فمن المحتمل أن العبدري قد عاد في هذه السنة، وأقام في تونس سنة أخرى مثل نظيره ابن رشيد السبتي (721هـ-1321م).[4]

الرحلة إذن ذات هدف مزدوج ككثير من الرحالات الحجازية التي كان أصحابها يقصدون الديار المقدسة لأداء فريضة الحج، ويغتنمون الفرصة ليلتقوا الشيوخ في المدن التي كانوا يمرون بها، ويأخذون عنهم ما تسير من العلوم المختلفة.

ويخصوص تقسيم الكتاب فلا نكاد نلمح تقسيما واضحا له، ولكن نجد في بعض الفصول، التي كان كثيرا ما يلجأ إلى العمل بها، عندما يريد الوقوف على ظاهرة معينة، والتفصيل فيها تفصيلا يبتعد قليلا عن غرض الرحلة ومنهجيا، مستطردا في حديثة عن بلد وما يختص به أو عن تاريخه، كما صنع في الحديث عن عجائب مصر ونيلها، والحديث عن بناء المسجد الحرام والكعبة وأسمائها.[5]

---

[1] العبدري ، المصدر السبق ، ص 42.
[2] نفسه ، ص 10.
[3] ابراهيم الكردي، المرجع السابق، ص 87.
[4] العبدري، المصدر السابق، ص 11.
[5] نفسه، ص 13.

كما ترجم العبدري للشيوخ الذين لقيهم، وكان كثيرا ما يؤكد تاريخ ولادة الشيخ ورحلته في طلب العلم، مع الحديث عن طبائع الشيخ وعادته.[1]

أما عن مصادره في تأليف الرحلة، فهي تحتوي على معلومات جغرافية وتاريخية وأدبية واجتماعية وتتمثل في:

1. المشاهدة ثم الرواية الشفوية ثم المصنفات المختلفة.

ظهر أثرالمشاهدة في المعلومات الجغرافية عن المناطق والبلاد التي مر بها وخصائصها العمرانية وتضاريسها، وكان وصفه لها وصف شاهد عيان، أما بالمشافهة فذلك من خلال لقائه بالعلماء وأخذ المعلومات عنهم ، إلى جانب مناقشة القضايا العلمية، أما المصنفات التي نقل عنها العبدري ولجأ إليها مستعينا بما لم يشاهده، أو شاهده ويريد التوضيح والاستدلال .[2] ومن المصادر التي اعتمد عليها في كتابة رحلته :

المصادر الجغرافية والتاريخية على سبيل المثال منها كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد الله البكري وكتاب أخبار مكة لأبي الوليد الأرزقي (ت250م)

كتب الحديث المختلفة: ككتاب غريب الحديث لأبي عبيدالقاسم ابن سلام (ت224هـ) ومشارف الأنوار للقاضي عياض (ت544هـ)

كتب السيرة النبوية: كسيرة ابن اسحاق (ت151هـ)

كتب الفقه المالكي: مثل المدونة لعبد الرحمان ابن القاسم (ت627هـ)

كتب التصوف: ككتاب التشوف لإبن الزيات (ت627هـ)

1) الدواوين الشعرية والمجموعات: كدوان المتنبي و دوان النابغة
2) كتب أخرى في القراءات والتراجم: ككتاب التيسيير والمقنع للأبي عمرو الداني(ت424هـ).[3]

النسخة التي بين أيدينا، مطبوعة للمرة الثالثة في دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع دمشق (1426هـ-2005م)، وهي طبعة فاخرة مجلدة متوسطة الحجم، ينتهي ترقيمها عند 438 صفحة خطها واضح، وواضحة العناوين مع

[1] ابراهيم الكردي، المرجع السابق، ص 91.
[2] العبدري ، المصدر السابق ، ص 14.
[3] العبدري، المصدر السابق، ص15.

إضافات في المتن من طرف المحقق فيما يخص وضع العناوين، حيث يذكر المؤلف في النسخة الأصلية لم تكن فيها عناوين كما دعم المحقق الكتاب بمجموعة من الفهارس المهمة للآيات القرآنية والأحاديث، والأمثال والقوافي والأراجيز والأقوال المأثورة واللغة والأماكن والأعلام والشيوخ الذين ترجم لهم في المتن بالإضافة إلى القبائل والجماعات والكتب والمصورات الواردة في الكتاب

ب.الدراسة الباطنية:

رحل العبدري من المغرب الأقصى حاجا، بدأ من بلدة الحاجة سنة (688هـ-1289م) ودخل باجة وتونس والقيروان وغيرها وأفاد واستفاد وأخذ من الأعلام وأثنى عليهم مثل اللبيدي[1] وبباجة أبو علي الطبلي . وحسب روايات أخرى فإن البدري قد سافر من مدينة الصويرة الواقعة على ساحل المغرب الأقصى، تاركا أسرته مع قبيلة الحاحة، مع ابنه لتأدية الحج في أيلول من عام(688هـ-1289) عن طريق البر و من خلال رحلته، أسهب بشكل كبير في وصف المدن في أقطار المغرب[2].

و أنصب اهتمامها على المراكز العلمية و الدينية قام العبدري بنسخ رحلته أو بكتابة رحلته واهتم بالمراكز العلمية والدينية ،ونلاحظ أن خط سير العبدري، كان نفسه خط سيرابن فكون [3] ، وقد لخص رحلته في بيت شعري هو:

فلما جئت ميلة خير دار أما التني بكل رشائبي

وكم أورت ضباء بين ورار أوار الشوق بالريق الشهي

وجئت بجاية فجلت بدورا يضيق الشوق بالريق الشهي

وفي أرض الجزائر هامر قلبي بمكسول لمراشف كوثري

وفي مليانة قد ذبت شوقا بلين العطف و القلب القسي

[1] اللبيدي: هو أبو القاسم بن حماد بن أبو بكر الخضر مي اللبيدي تونسي شيخ جليل فاضل، ذو علم واسع، صالح للعلماء و عالم الصلحاء ولد سنة (71هـ -696م) لم تشر المصادر إلى وفاتها أنظر: أحمد بابا التنبكتي: نيل ابتهاج بتظريز الديباج ، تق عبد الحميد عبد الله هرامة، ج1، ج2، ط1 ،كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا 1398هـ ، 1989 مـ، ص 367.

[2] المقري ، المصدر السابق، ج2، ص ص 283 ، 284.

[3] ابن فكون : هو الأديب والشاعر ابو الحسن بن علي بن حسن القسنطيني ، رحل إلى قسنطينة إلى مراكش ومدح خليفة بني عبد المؤمن ، انظر ، ابن القاضي ، درة الحجال في أسماء الرجال ، تح محمد الاحمدي ابو النور ، ج1، ط1،دار التراث ، القاهرة ، 1971م ، ص 236.

وفي تنسب جميل صبري وصمت بكل ذي وجه وضي

وفي مازونة مازلت صبا بوسنان المحاجر لوذعي

وأبدت لي تلمسان بدورا جلبن الشوق للقلب الخلي

المبحث الثالث
المدن الساحلية
في المغرب الأوسط

رحلة العبدري تضم في طياتها معلومات قيمة في الجانب الجغرافي والاقتصادي فصاحبها يصف لنا بدقة الطريق التي كانت تسلكها قوافل الحجاج برا من المغرب إلى الحجاز كما أنه يحدد لنا المراكز التي يحط فيها الحجاج رحالهم للاستراحة.و تطرق المؤرخ لوصف المدن والأنهار وكثيرا مما شاهده في طريقه,ومن بين هذه المدن نذكر:

1. مدن المغرب الأوسط :

تلمسان :

حيث يذكر العبدري في كتابه مدينة تلمسان فيقول أنها:" عاصمة الزيانيين ،مدينة كبيرة سهلة جبلية جميلة المنظر مقسومة باثنين بينهما سور ولها جامع عجيب، مليح متسع، و بها أسواق قائمة وأهلها ذو ليانة ولا بأس بأخلاقهم، وبظاهرها في سند الجبلموضع يعرف بالعباد، وهو مدفن الصالحين وأهل الخير، وبه مزارات كثيرة، ومن أشهرها قبر أبي مدين رحمه الله"[1].

وقد ذكرها ياقوت الحموي تلمسان بكسرتين، وسكون الميم، وسين مهملة، وبعضهم يقول تلمسان بالنون عوضا عن اللام، وهي بالمغرب وهي عبارة عن مدينتين متجاورتين مسورتين بينهما رمية حجر، إحدهما قديمة والأخرى حديثة، والحديثة اختطها الملثمون ملوك المغرب، واسمها تافرزت فيها يسكن الجند وأصحاب الحاكم وأصناف من الناس واسم القديمة أغادير[2] يسكنها الرعية.[3]

أما أبن خلدون فيقول بأن تلمسان في زناتة مركب من كلمتين، تلم سان، ومعناها تجمع اثنين البر والبحر.[4]

وذكرها المقري: بأنها تسمى بلغة البربر "تلمس" وهي كلمة مركبة من "تلم" ،و"سن" ومعناها تجمع الصحراء والتل[5].

تقع تلمسان في أقصى الغرب من الجزائر حيث الطول أربعة عشرة وأربعون دقيقة[6]، كما أشار العبدريإلى أن بها حمامات نظيفة كحمام العالية، وهو المشهور ،وهذه

[1] العبدري، المصدر السابق، ص ص28،27.
[2] أغادير: حسب اللهجة المحلية الحصن أو الصخرة المنيعة، وهي مشتقة من أقاديروهو جدار المدينة الحصين ،ومن هنا تسمى المدينة بمدينة الجدار .أنظر :-البكري المصدر السابق، ص 67.
[3] ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص 44.
[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 102.
[5] المقري ،المصدر السابق، ص ص 331-342.
[6] ابن سعيد، المصدر السابق، ص 140.

المدينة بالجملة ذات منظر جميل وأقطار متسعة ومبانيها مرتفعة، و"لكنها مساكن بلا ساكن ومعاهد أفقرت من متعاهد"[1].

أما الزهري فيذكر أن تلمسان مدينة عظيمة فيها عيون كثيرة ومياه غزيرة، وهي كثيرة الزرع، ولها أعمال عديدة، وهيدار مملكة يعمل فيها من كل شيء بديع[2] في حين يذكرها الحسن الوزان فيقول عنها لها ميناءان مشهوران، وهما وهران والمرسى الكبير يتوافد عليهما التجار من جنوة والبندقية، وأما عن أرضها فهي أماكن زاهرة والبقعة الخصبة[3].

وكل هذه المعطيات توحي بأن تلمسان بلغت درجة كبيرة من التطور خلال العهد الزياني رغم الضربات المرينية والحفصية، والخطر القادم من الأعراب كما نستشف من كلامة رواج التجارة بين فاس وتلمسان على الطريق البري الذي سلكه العبدريوهو طريق يمر على خط فاس وجده وتلمسان.[4]

ونجد أمراء بني زيان يحتفون بالعلماء و الشعراء، ويبالغون في إكرامهم فنشأ فيها العلماء، ونزل بها الفقهاء والأدباء وساهم أمراؤها ببناء المدارس والجوامع ، ولهم أيضا دور فعال في تشجيع الحركة الثقافية العلمية بحاضرة تلمسان [5].

وبالتالي عدت حاضرة إسلامية على مر العصور في المغرب الأوسط ، وقد وجدها العبدريعلى أسوء حال من خلال وصفه لها حيث قال أن الآفات حلت بها، ولكن بالرغم من هذا إلا أنه لم يذكر الوضع السياسي الذي كانت عليه حيث قال أنها تعرضت لحصار طويل فرضه السلطان المريني يوسف بن يعقوب

(685 -706ه/ 1286-1306 م) ودام هذا الحصار 08 سنوات 6ثم رفع عنها بعد موته سنة 707ه ، لكن ليس كليا ليتحرر في (706 ه- 1306م).

[1] العبدري، المصدر السابق، ص 49.
[2] محمد بن أبي بكر أبو عبد الله الزهري، الجغرافيا، تح محمد الحاج صادق، دط، المكتبة الثقافية الدينية، دت، ص 114.
[3] الحسن الوزان، المصدر السابق ،صص 07-10.
[4] يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دت ، ص ص 7، 8.
[5] -الفيلالي عبد العزيز ، تلمسان في العهد الزياني ،ج2، دط،موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر ،2002م،ص321.
[6] عبد الرحمن بن خلدون ،تاريخ ابن خلدون ، ضبط خليل شحادة ، م سهيل زكار ، ج7، دار الفكر ، بيروت ، لبنان 1421ه- 200م، ص26.

ومن خلال هذا نستنتج أن الوضع السياسي غير المستقر يؤدي إلى تردي الأوضاع في كل المجالات، وهذا ماجعلالعبدري يذكرها بسوء[1]

ويبدو أن البلوي اتفق معه في وصفها غير الحسن الوزان فقال: " فرأيت مدينة قل مثلها"[2] ، ووصفها بأنها بسيطة الاتساع[3]، أما عن تحدثه عن العلم في تلمسان فقد ذكر أنها قليلة العلم، وهذا راجع إلى الوضع الأمني غير المستقر، حيث أنه لا مجال للعلم والعلماء فهم يهاجرون بسبب تردي الأوضاع [4]

مليانة:

وصف العبدري مليانةبالخصيبة وذكر أنها تشرف على واد شلف، وقد كان تنقله برا عبر طريقها، حيث تعتبر مليانة من المدن المهمة تجاريا ومسلكيا بفضل موقعها، إذ يمر عليهاالمتوجه إلى الجزائر برا أونحو البحر في اتجاه كل من تنس وشرشال[5] ووصفها الحسن الوزان بأنها مدينة كبيرة بناها الرومان، وأطلقوا عليها اسم مكنانة لكن العرب حرفوا هذا الاسم[6]

عرفها البكري بأنها "... مدينة رومانية فيها آثار... جددها زيري بن مناد وأسكنها ابنه بلجين"،[7] ومما ساعد بلجين على اختطاطها توفر مواد البناء لوجود السهول والجبال ووقوعها على نهر يسقي أكثر مزارعها واستفادت هذه المدينة من وجود مياه تنبع من أعلى الجبال، مما سهل عملية تسيير الماء إلى المنازل ويضمن توفر الماء عند مداهمة العدو.[8]

جزائر بني مزغنة:

عرج المؤلف عن مدينة الجزائر وهي مدينة جميلة ورائعة حيث قال "ثم وصلنا إلى الجزائر، وهي مدينة تستوقف بحسنها ناظر على ناظر ويقف على جمالها خاطر الخاطر..." والملاحظ هنا أنه بالرغم من أن الجزائر هي مدينة كبيرة في المغرب الأوسط أنذاك إلا أن العبدري أجحف نوعا ما في وصفها الجغرافي، وفيذكر علمائها، واكتفى

[1] العبدري ، المصدر السابق ، ص 52.
[2]-خالد بن عيسى البلوي ، تاريخ المفترق في تحلية علماء الشرق ،دط، تح لحسن السائح ، دار الفضالة ،دم ،دت ، ص 29.
[3]- نفسه.
[4] الهبدري ، المصدر السابق ، ص 52.
[5]نفسه ،ص52.
[6]الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 34.
[7]البكري، المصدر السابق، ص 61.
[8]عبد الكريم جودت يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (09-10)، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، دم،دت، ص 375.

بوصف مناظرها فقال "...لها منظر معجب أنيق، وسور معجز وثيق..."[1]، كما وصفها بأنها مدينة حسنة تجمع بين البر والبحر، وبروز الجزائر على الساحة العلمية والعالمية، بدل العواصم التقليدية في تلمسان، وبجاية ؛كما بين التحصينات المحكمة لها، مما بين أنالخطر الدائم كان يداهمها من البحر، سواء من الدول أو القرصنة البحرية[2].

وقد ذكرها ياقوت الحموي فقال" الجزائر جمع جزيرة اسم علم لمدينة على ضفة البحر بين افريقية والمغرب[3]، ازدهرت بني مزغنة في عهد بني زيري،فمؤسسها هو بلكين بني زيري سنة 335ه-946م[4]، ووصفها الحسن الوزان بأن بها أسواق كثيرة، ولها عيون على البحر طيبة تحاذيها جزيرة على رمية سهم منها، وفنادق وحمامات، ويحيط بها عدد من البساتين والأراضي المغروسة بأشجار الفواكه.[5]

وذكر الإدريسي أنها ازدهرت خلال العهد الموحدي فقال " مدينة الجزائر على ضفة البحر ، وشرب أهلها من عيون على البحر عذبة ، ومن آبار وهي عامرة بأهلها ، وتجارتها مربحة وأسوارها قائمة وصنانافقة"[6]، ومن خلال مقارنتنا لما أورده العبدري والمصادر الأخرى نجدهم اتفقوا علىأن مدينة الجزائر بلغت أوج ازدهارها في العهد الموحدي حيث توسعت ضواحيها، وزادت مبانيها، وراجت تجارتها،وفي أواخر هذا العهد أخذت مدينة الجزائر تتقهقر بعد زوال الدولة الموحدية، وتطاحن الدولتين الزيانيةوالحفصية عليها، لكن هذا لاينفي بروز علماء أجلاء خلال العهد الموحدي .

بجاية:

قدم العبدري في رحلته وصفا لمدينة بجاية لها ،فقدأسهب في ذكرها وترجمة علمائها، فقال "ثم وصلنا إلى مدينة بجاية مبدأ الاتفاق والنهاية، وهي مدينة كبيرة حصينة الشهرة، برية بحرية سرية وثيقة البنيان عجيبة الاتقان ،رفيعة المباني غريبة المعاني ، موضوعة أسفل جبل وعر ، مقطوعة بنهر وبحر، مشرفة عليهما إشراف الطليعة ، متحصنة بها منيعة ، فلا مطمع فيها لمحارب ، ولا متسع فيها لطاعن وضارب ، ثم تحدث عن العمران الذي نال إعجابه كثيرا فقال "و بها جامع عجيب منفرد في حسنه قريب من

[1] العبدري، المصدر السابق، ص ص 78، 79.
[2] نفسه، ص 82.
[3] ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 132.
[4] سالم بوتدارة، تاريخ شمال إفريقيا من خلال كتابات مارمول كربخال والحسن الوزان، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة سيدي بلعباس،1011/2010م، ص ص 12-13
[5] الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 37.
[6] -الادريسي ، المصدر السابق ، ص114.

الجوامع المشهورة الرفيعة، الموصوفة المذكورة، فهو غاية في الفرحة والأنس ينشرح الصدر لرؤيته ..وهذا بلد قواعد الإسلام ومحلة من العلماء والاعلام.[1].

ومن العلماء الذين التقى بهم في بجاية يذكر الشاطبي فقال "ولم أرى من أهل الشيمة الفضلي والطريقة المثلى، أمثل من الشيخ الفقيه أبي عبد الله محمد بن صالح بن أحمد بن الكناني الشاطبي ، وفي نفس السياق قرأ عليه بعض كتاب الشمائل للترميذي، وهذا من خلال قوله "وقرأت عليه أيضا بعض كتاب الشمائل للترميذي.[2]

وبجاية بكسر الباء، وتخفيف الجيم وألف وباء وهاء، مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب،[3]وهناك من قال أن مدينة "صالداي" أنشئت على أنقاض مدينة رومانية[4]، وقد تأسست بجاية في عهد الدولة الحمادية في القرن (5هـ-11م) على يد ناصر بني علناس سنة (457هـ-1065م)، فاحتلت بجاية بحكم موقعها الاستراتيجي أهمية تجارية اقتصادية فعن طريق البحر كانت تستورد الفواكه والعنب من ميناء

جيجل كما كانت تتبادل السلع مع السفن القادمة من سوريا وأوربا والإسكندرية، وعن طريق البر كانت ملتقى القوافل نحو المغرب والصحراء، وكذلك بجاية لها ميزتين في العهد الإسلامي انفردت بهما ميزة من حيث الموقع وميزة من حيث التحول الاقتصادي.[5]كما ذكر أنها لاتحتوي على علماء كثر إلا القليل وتوجد مصادر أخرى مثل ابن رشد السبتي يذكر أن بجاية في القرن 13م قد عرفت ازدهارا كبيرا في ظل الدولة الحفصية ، غير أن الغبريني الذي يعد أهم مصدر في تلك الفترة لبجاية ، فإنه ترجم لأكثر من مائة وأربعين في القرن (7 ه/ 13م) ويذكر أن هذه المدينة صلات الوثيقة مع مراكز الحضارات الثقافية في العالم الإسلامي[6] إن وصف العبدري لبجاية اجحاف في حقها كونها حاضرة اشتهرت بالعلم والعلماء، فنجد ابن بطوطة يذكر العديد من العلماء منهم الشيخ أبو عبد الله الزواوي قاضي بجاية، والشيخ الفقيه المفسر أبو عبد الله [7]

---

[1]العبدري، المصدر السابق، ص ص81.
[2]نفسه ، ص 82.
[3]ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 339.
[4]ابراهيم حركات، دور بجاية في الحضارة، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البحث، قسنطينة، الجزائر، أفريل 1974م، العدد 19، ص 13.
[5]عبد الكريم عزوق،المعالم الأثرية ببجاية ونواحيها، اش عبد العزيز لعرج، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الآثارالإسلامية، جامعة الجزائر،2007م-2008م،ص 67.
[6]أحمد أبو العباس الغبريني،الدارية فيمن عرف من علماء في مئة السابعة من بجاية ، تع ، تح . عادل نويهض، ط2، منشورات دار أفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان، 1997م، ص 08 .
[7]-محمد بن عبد الله ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح علي المنتصر الكتاني، ج 1، ط4، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان،1985م،ص31.

وعليه يمكن القول أن بجاية تعد من الحواضر الثقافية في القرنين السابع الهجري و الثالث عشر ميلادي رغم ما عرفته من اضطرابات سياسية ميزتها إلا أنها تميزت بحركة ثقافية نشيطة ، لكونها موطن لأعلام كثر نبغوا فيها ، ولم يقدم سوى وصف بسيط عن حصانتها برية و بحرية ، ولم يشر إلى النشاطات الإقتصادية الممارسة فيها ، بل ركز على الجانب الثقافي مما جعل الرحلة قليلة الاهمية لوصف المناطق الساحلية .

ويبدوا ان العبدري لم يركز كثيرا على مدن المغرب الأوسط فنجده ركز على مدن أخرى منها مدن في إفريقية – المغرب الأدنى أو تونس – وأخرى في المشرق ومنها :

باجة:

قال عنها العبدري "مدينة جرعها الدهر أجاجه، قد هتكتها الأيدي العادية، حتى صارت حاضرة بادية، وقد حدثت بها أن أهلها لا يفارقون السور خوفا من العربان، وأنهم يستعدون لدفن الجنائز، كما يستعد اليومي الضرابي والطعان"[1] ، ولم يقم فيها إلا نهارا واحدا لذا نجده لم يصفها كثيرا.[2]

وقد ذكرها الوزان أنها مدينة عتيقة بناها الرومان، أطلقوا عليها اسم فيتشيا ثم تحولت الفاء باء والكاف جيما، فأصبح الاسم باجة.[3]

واحتفظت باجة بأسوارها العتيقة إلى يومنا هذا ،وهي متوفرة على جميع الصنائع، وافرة الإنتاج[4] باعتبارها تقع في منطقة فلاحية جيدة، تمون تونس وما حولها بالمنتجات الزراعية.[5]

وهو ما ذهب إلى قول أهل تونس، أنه لو كان ببلادهم منطقة أخرى مثلها لكانت الثروات الفلاحية أكثر وزنا من الرحال الموجودة في البلاد[6].

[1] الضرابي والطعان : وهي الحروب ، انظر ، العبدري ، المصدر السابق ، ص 105.
[2] العبدري، المصدر السابق، ص 105.
[3] الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 66.
[4] نفسه .
[5] مارمول كربخال ، افؤيقيا ، تر محمد حجي واخرون ، ج3، دار النشر والمعرفة ، الرباط ، 1989م ، ص 96.
[6] نفسه

وهران :

قال العبدري أن وهران "مدينة مليحة حصينة برية وبحرية، وهي مرسى تلمسان ، ومتجر تلك النواحي "

.[1] وبها سور يحميها.[2]

وهوعكس ماعبر عنه الجغرافي الإدريسي قبله الذي قال عنها : أن بها سور بسيط من تراب [3]، مما يبين أن الموحدين قد قامو بإعادة ترمميمه وتحصينه، على ماكان في عهد المرابطين ، حتى أصبح أكثر حصانة وحماية ضد الغزوات البحرية [4]، ونلاحظ أن العبدري خلال رحلة العودة ذكر مدنا لم يذكرهافي طريق الذهاب مثل وهران ،وغيرها من المدن مما يبين تغييره لطريق العودة ، أو أنه خلال الذهاب لم يعرها اهتمامه .

كما تبين لنا أن وهران لم تكن لها أهمية في هذه الفترة لأنها ميناء تابع لتلمسان لتصريف منتجاتها وممارسة التجارة،ووهران بفتح أوله وسكون ثانيه وآخره نون لها مرسى في غاية السلامة والصون من كل ريح وماؤها من خارجها جار عليها في واد عليه بساتين وأجنة كثيرة من الفواكه [5].

وكلمة وهران لفظ بربري،يعني مكان الأسد، ولموقعها الإستراتيجي فقد استقرت بها القبائل [6].عرف أهلها بعزة النفس والنخوة موصوفون بعظم الخلق ، وكمال القامة والإباء والشدة [7]ومن ذلك قول الإدريسي "...بها أسواق مقدرة وصنائع كثيرة وتجارات نافقة ...ولها على ميلين منها مرسى كبير ، وبه ترسو المراكب الكبار والسفن ... وبها فواكه ممكنة وأهلها في خصب، والعسل بها موجود وكذلك السمن والزبدة والبقر والغنم ...رخيصة بالثمن اليسير، ومراكب الأندلس إليها مختلفة ".[8] كما تأسست بها خلال العهد الموحدي عدة مدارس ونشطت بها الحركة ثقافية وتوسعت واشتهر فيهاالعلم والأدب

[1]- ومتجر تلك النواحي : سوق وملتقى القوافل التجارية ، انظر : العبدري ، المصدر السابق ، ص 561.
[2] نفسه .
[3]الإدريسي ،المصدر السابق ، ج1 ،ص152.
[4] علي عشي ، المرجع السابق ، ص 359.
[5]- محمد أبو القاسم ابن حوقل النصيبي ، صورة الأرض ،منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت، لبنان، 1995 م ، ص79.
[6]- بشير مقيبس ، مدينة وهران دراسة في جغرافية العمران ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1983م ، ص ص 81، 82.
[7]- مؤلف مجهول (الاستبصار)، المصدر السابق ،ص 138.
[8]- الإدريسي ، المصدر السابق ،ج1،ص153.

والنحو؛ وهذا ماتفق عليه معظم المصادر أنها ازدهرت خلال العهد الموحدي،وهذا لاينفي أنها واجهت بعض الصراعات مثل العهد المرابطي وهو ماذكرهالعبدري. [1]

وباعتبارها مدينة كبيرة بناها السكان الأصليون على الساحل كانت تسمى في عهدالرومان يونيكا كولونيا ، تقع على اثنتي عشرة درجة وثلاثين دقيقةفي خطوط الطول وعلى اربع وثلاثين درجة من خطوط العرض وعلى بعد عشرين فرسخا من تلمسان ، ومدينة وهران معدودة دائما في مملكة تلمسان .[2]

بونة :

قال عنها العبدري مدينة"تغار لها العيون من جور النوائب تراعى من البحر جزره ومده، ومن المشاهدات التي رآها مصادفته زويرق للنصارى ، لا تبلغ عمارته عشرون شخصا ، وقد حاصرو البلد حتى قطعوا عنه الدخول والخروج وأسرو من البر أشخاصا ، فأمسكوهم للفداء بمرسى البلد وتركناه ناظرين في فدائهم "[3].

وهذه شهادة من العبدري للخزي الذي بلغه المغرب الاسلامي في تلك الفترة ، والدرجة الكبيرة من الضعف أمام القراصنة الغربيين ، ويعرفها أبو الفداء فيقول:" وبونة من اللباب ، بضم الباء الموحدة ، وسكون الواو ، ثم النون والهاء [(4)] وهي مدينة على ساحل البحر في نشز من الأرض ،مطل على مدينة سبوس ،وتسمى مدينة الزاوي ، وبينها وبين المدينة الحديثة نحو ثلاثة أميال وهي مدينة برية بحرية [(5)] ، فضلا عن البساتين وأنواع الفواكه المتعددة التي تأتي من باديتها ، وكذلك القمح والشعير والكتان الذي يزرع بأراضيها"[(6)] ، ويقول عنها الحسن الوزان: "بونة مدينة عتيقة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط، على بعد نحو 120ميلا غربا ، وهي كثيفة السكان، لكن الدور الجميلة بها قليلة ، فيها جامع في غاية الحسن على شاطئ البحر ، والرجال فيها ظرفاء بعضهم تجار، وبعضهم صناع وحاكة ، إلا أن أهل عنابة متكبرون شرسون ليس في عنابة عيون ، وإنما فيها صهاريج ويوجد في عنابة شاطئ يكثر فيه المرجان ،كما يوجد بها قلعة يقيم فيها الحاكم ، فيها أراضي صالحة ، وتربى فيها البقر والثيران وتأتي كل سنة سفن من تونس وجربة وسائر السواحل لشراء القمح والزبدة ويعقد السوق كل يوم

[1] العبدري ، المصدر السابق ، ص 104.
[2] مارمول كربخال ، المرجع السابق ، ص 329.
[3]- العبدري ، المصدر السابق ، ص104.
[4]- إسماعيل بن علي أبو الفداء الملك المؤيد عماد الدين (ت732ه) تقويم البلدان ، تص رينودوالبارون ديسلان ماك كوكين ، دار صادر، بيروت ، لبنان ،دار الطباعة السلطانية ،1830م ، ص140.
[5]- البكري ، المصدر السابق ،ص ص 54،55.
[6]الإدريسي ، المصدر السابق ، ج1، ص154.

جمعة خارج المدينة"[1] .يقول عنها ابن سعيد أنها أول سلطنة إفريقية على البحر،وقد تأثرت مدينة بونة بغزو الهلاليين بإفريقية وخاصة مناطقها الزراعية ملكها الموحدين،وهذا يدل على مكانة بونة وقوتها خلال العهد الموحدي، وهو عكس ماصرح به العبدري بقوله أنها لم تنل الازدهار الكافي .

أُنتقد العبدري من طرف أحمد بن قاسم البوني فيما يخص وصف مدينة بونة، و هذا من خلال تأليف كتاب رد على وصف العبدري فيه ، فقد ذكر بونة بأنها كانت مدينة عظيمة وجميلة ...وكان فيها علماء وفقهاء، وكانت لها إسهامات في مختلف العلوم، ولكن بالرغم من هذا فان بونة كانت تتعرض لهجمات الإسبان والقراصنة ، وهذا ماصادفالعبدري أثناء وصوله فأخذانطباعا سيئا عنها.[2]

قسنطينة :

وصفالعبدري قسنطينة بأنها البلد الذي" نشفت الخطوب معينه وبات الأقدار أن تكون له معينه ، بلد الوضع العجيب والموضوع الخصيب ، قسنطينة المدينة العجيبة الحصينة ، التي دار بها واد شديد الوعر بعيد القعر كما يحيط السوار بالمعصم ...، بها للأوائل آثار عجيبة ، ومبان متقنة الوضع غريبة ، وأكثرها من حجر منحوت يعجز الوصف إتقانه "[3] وقسنطينة بفتح أوله وفتح ثانيه، ثم نون وكسر لطاء وياء مثناة، ونون أخرى بعدها ياء خفيفة وهاء ، مدينة وقلعة يقال لها قسنطينة الهواء وهي قلعة كبيرة جدا عالية[4] آهلة ذات حصانة ومنعة [5]، وهي قديمة بناها الرومان على جبل شاهق ومحاطة من جهة الجنوب بصخور عالية ، ومليئة بالدور والبناءات كالجامع والمدرستين والزوايا والأسواق ، وفيها عدد من التجار الذين يتعاطون تجارة الأقمشة الصوفية ، ويرسلون الزيت والحرير ولا توجد بإفريقية مدينة يباع فيها الثمر بثمن بخس كقسنطينة [6] والأراضي الزراعية كلها جيدة خصبة ويبلغ انتاجها ضعف ما يزرع فيها .[7]ويبين البكري أهميتها التجارية قائلا" ويسكن قسنطينة قبائل شتى من أهل ميلة ونفزاوة ، وهي قبائل من كتامة ، وبها أسواق جامعة ومتاجر رابحة"[8] ويصفها الإدريسي بقوله " بأنها عامرة و بها أسواق وتجار وأهلها مياسير ذو أموال وأحوال واسعة ومعاملات للعرب "[9] ومن خلال

[1]الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص ص61،62.
[2] حمد بن قاسم البوني ، المصدر السابق ، ص
[3]- العبدري ، المصدر السابق ، ص 93.
[4]-ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص349.
[5]- الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص ص 55،56.
[6]- نفسه ، ص58.
[7]- إسماعيل العربي ، المدن العربية ،دط ، المؤسسة الوطنية ، الجزائر ،دت دت .ص191.
[8]-البكري ، المصدر السابق ، ص63.
[9]- إلإدريسي ، المصدر السابق ، ص 121.

مقارنتنا لما ذكره العبدريمع مصادر أخرى نجد أنها كانت بالاتفاق حاضرة ثقافية واقتصادية وعسكرية لها وزنها انجبت علماء وأدباء.

تونس :

وعند وصول العبدري إلى المغرب الأدنى ذكر تونس وقام بوصفها كسائر المدن التي زارها ومر عليها ، حيث قال "ثم وصلنا إلى مدينة مطمع الامال ومصاب كل برق محط الرحال من الغرب والشرق ،ملتقى الركاب والفلك ..... فاقت بحسن مغانيها واتقان مبانيها " وهي مدينة في غاية الاتساع ونهاية الاتقان ماؤها قليل [1]

نلاحظ من خلال هذا أن العبدري أسهب في وصف تونس ،حيث قال "ولو نطقت لقالت:

أنا الغادة الحسناء فافق جمالها قالت :يمينا لا خطبت على زوجي [2]

كما وصف المساجد الموجودة بتونس فقال : في وصف جامع الزيتونة وهذا الجامع من أحسن الجوامع وأكثرها استشراقا . ودائرة مستفق ووسطه فضاء، قد نصبت فيه أعمدة من خشب على قدر ارتفاع الجدر وشدت إليها جبال متينة في حلق حديد مثبتة فيها، وفي السقوف شدا محكمة ،فإذا كان يوم الجمعة نشرت عليها شفق الكتان المطبقة الموصولة حتى تظلل جميع الفضاء .... [3] وأثناء زيارته لتونس التقى بمجموعة من الفقهاء والأدباء مثل لقائه بابن هارون [4]، وأبي جعفر اللبلبي[5]، وابن هريرة [6].. أما بالنسبة للجانب الأدبي فلم تخلو رحلة العبدري من القصائد والنظم حيث أورد القصيدة الشقراطسية لأبي محمد عبد الله ابن الشيخ الفقيه الصالح أبي زكريا يحى ابن علي الشقراطسي التوزري ، وهو بتونس مطلعها :

---

[1]- العبدري ، المصدر السابق ، ص 109.

[2]- نفسه .

[3]- نفسه ، ص ص 111.112.

[4]- ابن هارون : هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون الطائي القرطبي ، شيخ فقيه أديب له رواية عالمية ، أدرك جملة من أفاضل العلماء وروى عنهم ، توفي سنة (702ه) أنظر :-العبدري ، المصدر السابق ، ص 114.

[5]- أبو جعفر اللبلبي : وهو أبو جعفر أحمد بن يوسف القهري اللبلبي ، نحوي أديب ، له برنمجان وعدة تواليف منها شرح الفصيح ، توفي بتونس سنة (691) انظر:-العبدري ، المصدر السابق ، 166..

[6]- ابن هريرة : أبو عبد الله محمد بن عبد المعطي بن محمد النفزي ، اشتهر بابن هريرة، وهو فقيه أديب ، من كتبه وفيات المشاهير "انظر : العبدري ، المصدر السابق، ص 111.118.

الحمد لله منا باعث الرسل هدى بأحمد منا لأحمد السبل [1]

وكان العبدري رجلا فقيها ، وهذا من خلال مشاركته الفقهية بتونس ، حيث قال ".... وقد رأيت كلأها الله تعالى مستعينا بالله مستهديا له ..." بإضافة إلى ذكره لأهل طلبة العلم بتونس ، أمثال أبي محمد المرجاني [2] .

ويذكر الحسن الوزان أن اللاتينيي يسمون هذه المدينة تونيوتوم " ويسميها العرب تونس، وكانت في غابر الأزمان ترسيس كنظيرتها الأخرى في آسيا، وهي مدينة صغيرة من تأسيس الآفارقة على ضفة بحيرة بعيدة عن البحر المتوسط ، بنحو ميلين [3]ويقول البكري هي مدينة جليلة لها مياه ضعيفة جارية[4] ، يزرع عليها ، وفيها الخصب وكثرة الغلات، وهي في وطآة من الأرض في سفح جبل، ويستدير بها خندق وسور حصين ، وأرضها سبخة وبناءها بحجر والآجر وأبنيتها مسقفة بالأخشاب ، ودور أكبرها مفروشة بالرخام[5]

ووصفها مارمولكربخال بأنها:" مدينة عظيمة قديمة بناها العرب الأولون والذين جاؤا إلى افريقية ، يحدها من جهة الغرب قسنطينة، ومن الشرق طرابلس ومن الجنوب جبال الأطلس ، أما من الشمال فيحدها البحر المتوسط [6] وتونس بالضم ثم السكون ، والنون تضم وتفتح وتبصر واسم تونس في القديم ترشيش ، وبها أسواق كثيرة ومتاجر عجيبة وفنادق وحمامات ، وتونس من أشرف بلاد افريقية وأطيبها ثمرة وأنفسها فاكهة ، منها اللوز والرمان والتين والسفرجل والعناب والبصل ، وفيها من أجناس السمك مالايوجد بغيرها [7].

ونستنتج أن العبدري قد أسهب في ذكر محاسن تونس والثناء عليها ، كما تحدث عن مجالسته لثلة من العلماء والأعلام وأخذ عنهم علما، وايجازا كما أطال في مدحهم ومدح بلادهم كما ذكرنا ،ولعلها البلاد الوحيدة التي سلمت من لسانه السليط[8].

القيروان :

---

[1] العبدري ، المصدر السابق ، ص

[2]- أبو محمد المرجاني : هو عبد الله بن محمد العرشي المرجاني ، فقيه واعظ صوفي ، قدم مصر ووعظ بها ، واشتهر بالبلاد ومات بتونس سنة 669ه أنظر :- العبدري، المصدر السابق ، ص151.

[3]- الحسن الوزان ، المصدر السابق ،ص71.

[4]- البكري ، المصدر السابق ،ص34.

[5]- نقولا زيادة ،الجغرافيا والرحلات عند العرب ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ، 1987م، ص 134.

[6]- مارمول كربخال ،المصدر السابق ،ص16.

[7]- ياقوت الحموي ،المصدر السابق ، ج2، ص ص60، 61.

[8]- أحمد يسعد ، رواد الدراسات الهندية من الرحالة المسلمين ،المسعودي البيروتي ،ابن بطوطة نموذجا (287-779ه) (9م-1377م).رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتورة في التاريخ الاسلامي ، قسم التاريخ الاسلامي وقارة آسيا في العصور الوسطى ،اش .أحمد شووقي ،كلية العلوم الانسانية جامعة الجزائر 02.(2015م،2016م)ص68.

حدثنا العبدري عنها فقال "ثم وصلنا إلى مدينة القيروان فدخلتها موجدا في البحث غير وان[1] ، فلم أرى إلا رسوما محتهايد الزمان وأثارا يقال عنها ... والأحياء من أهلها جفاة الطباع ،مالهم من في رقة الحضارة باع ، ولا في معنى من معاني الانسانية انطباع ."[2]

والمدينة نفسها ليس لها بر ولابحر ولاسحر ولانحر ، وضعت في سبخة [3] لاماء بها ولامرعى ."[4]

ونلاحظ من خلال هذا أن العبدري كان شديد الانتباه في وصف المدينة كعادته كما ذكر المؤلف جامع القيروان ، الذي يعد مركزا للتدين والعلم فقال : أما جامعها فهو من جوامع الكبار المتقنة الرائقة المشرقة الأنيسة ، وكان المؤسس له والمقيم لقبلته الرجل الصالح عقبة بن نافع الفهري[5] والمعروف بالمستجاب [6] أما مقبرتها فهي من المزارات الشريفة العظيمة ، وفيها من الأفاضل وأخيار الأمة وبها قبر أبي زمعة البلوي [7] صاحب الرسول صلى الله عليه وسلم .

ويحددها ياقوت الحموي في قوله القيروان في الإقليم الثالث ، وهي مدينة عظيمة بإفريقية ، غبرت دهرا ، وليس بالمغرب مدينة أجل منها [8] .

وهي تقع جنوبي جبل يسمى وسلات ، حيث الطول ثلاثة وثلاثون درجة ، وهي في الصحراء تصلح لجمال العرب وكانت قاعدة افريقية وفي أول الإسلام ، وهي اليوم تابعه لتونس [9] وهي أعظم مدن المغرب نظرا ، وأكثرها بشرا ، وأيسرها ، وأوسعها أحوالا ، وأربحها تجارة ، وأكثرها جباية ، وافتتحت على يد عقبة بن نافع القريشي . وهي دار ملك المغرب، ورأت من الممالك والملوك والدول والفقهاء والعلماء مالم يكن له

[1] غير وان : التعب ،انظر العبدري ، المصدر السابق ، ص
[2] نفسه
[3]- سبخة :معناها أرض ذات ملح انظر :-العبدري، المصدر السابق ،ص15.
[4]-العبدري ،المصدر السابق ،ص ص 157، 158.
[5]عقبة بن نافع الفهري :قائد فاتح ولاه عمر بن العاص إفريقية ففتح كثيرا من البلدان حتى وصل إلى البحر المحيط ،قتل في تهودة مع مجموعة من جنوده ،سنة 63ه أنظر :- أحمد بن محمد بن عذاري ، المصدر السابق ،ص ص.13،14.
[6]- العبدري ،المصدر السابق ،ص160.
[7]-أبو زمعة البلوي : صحابي ممن بايع النبي ببيعة الرضوان تحت شجرة ، نزل بمصر وغزا افريقية ومات هنلك بعد سنة34ه أنظر :أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله المالكي ،رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية ، تح :حسين مؤنس ،دد، القاهرة، مصر، 1951م.ص 162.
[8]- ياقوت الحموي .المصدر السابق ، ج4، ص420.
[9]- ابن سعيد ،المصدر السابق ،ص 144.

مثله في قطر الأرض [1] كما أشار المقديسي إلى الجانب الإقتصادي لمدينة القيروان فيقول : أن بها اللحوم الجيدة وفيها الفاكهه الرخيسة حتى أنه تعجب من الأثمان .[2]

وتتفق أغلب المصادر على فترة إزدهار القيروان على أنها مدينة جليلة ،ظاهت حواضر الشهرة آنذاك مثل بغداد وقرطبة ، بفضل توفرها على العوامل جعلت منها مدينة مزدهرة انطلاقا من الموقع الجغرافي ، والنمط السكاني والنشاط الاقتصادي ، ويعبر الادريسي عن القيروان ويوضح لنا التوفيق في اختيار مكانها ، فهي أم أمصار وقاعدة أقطار وأتقنها بناءا وأنفقها سلعا وأنماها ربحا ...[3]

فيها اللحم بدرهم والتمر بعشرة ولا تسأل عن التين والزبيب والأعناب والزيت وهي متجر البحرين ، لانرى أكثر من مدنها ولا أرفق من أهلها ، ليس غير حنفي ومالكي [4] وقد عمرت وكثرت فيها الحمامات والفنادق والأسواق [5].

قابس :

تطرق العبدري ، إلى ذكر مدينة قابس حيث قال " ثم وصلنا إلى المدينة ذات المخبر [6]الخبيث والمحيا العابس ... وقلة اعتناء بكل راكع وساجد .."[7] كما وصفها أيضا في قوله " ...ومنها إلى قريتين زوارة [8]وزواغة[9] ، ذوى أنفس الخبيثة والقلوب الزواغة (الرواغة) معتقدات شنيعة " ومن خلال قوله نستنتج أن العبدري نقدها نقدا سلبياويذكرها اليعقوبي قابس مدينة تونسية عظيمة على البحر ، ساحل البحر بين طرابلس وسفاقس ، عامرة كثيرة الأشجار والثمار والعيون الجارية، وأهلها أخلاط من العرب والعجم والبربر ، بينها وبين طرابلس ثمانية أيام [10] وذكرها ياقوت الحموي:إن كان عربيا فهو أقبست فلانا علما ونارا او قبسته فهو قابس بكسر الباء الموحدة مدينة بين طرابلس وسفاقس ثم المهدية على ساحل البحر ، فيها نخل و باستين غربي طرابلس الغرب ، بينها وبين

[1]محمد بن عبد المنعم الحميري ،الروض المعطار في خبر الأقطار ،تح احسان عباس، بيروت، لبنان ،1984م ،ص ص 486،487.

[2]- المقديسي محمد بن احمد ابو عبد الله ،أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،دط، مكتبة خياط ،بيروت لبنان ،دت .ص 112.

[3]- الإدريسي ،المصدر السابق ، ج1،ص284.

[4]- المقديسي ،المصدر السابق ،ص112

[5]- محمد محمد زيتون ، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية ،ط1،دار المنار ،القاهرة ، مصر،1988م،ص98.

[6]المخبر : المنظر ، انظر : العبدري ، المصدر السابق ، ص

[7]- العبدري ،المصدر السابق ،ص180.

[8] زوارة : بلد ذات نخل وأشجار ، أهلها من الخوارج ، تقع على ساحل البحر ، بينها وبين زواغة ستة اميال ، انظر ،رحلة التيجاني ، المصدر السابق ، ص

[9] زواغة : من بلاد إفريقية ،وسميت بزواغة نسبة لقبيلة من البربر فيها نخل، انظر : نفسه

[10]- أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي ،البلدان ، ،مكتبة المثنى عن لدن،دم،1 189م ، ص 66.

طرابلس 08 منازل .وهي ذات مياه جارية من أعنان إفريقية في الإقليم الرابع ، عرضها 35° فتحت مع القيروان سنة 27ه.[1] .

وأشار إليها البكري في قوله "قابس مدينة جليلة ، مصورة بالصخر الجليل ذات حصن حصين وأرباظ وفنادق ، وجامع ، وحمامات كثيرة، وقد أحاط بجميعها خندق ، يجرون إليه الماء عند الحاجة ، لها ثلاثة أبواب ، يسكنها العرب والأفارقة ، فيها جميع الثمار والموز ، وهي تنير القيروان بأصناف الفواكه ، وحريرها أجود حرير ، وليس في عمل إفريقيا وساحل مدينة قابس مرفأ للسفن من كل مكان ، وبين مدينة قابس والبحر 03 أميال [2].

سوسة :

يقول العبدري عن سوسة " هي مدينة مليحة برية بحرية ، حولها بساتين وثمار وهي في نفسها متقنة محكمة العمل مؤسسة بقوة ، وكلها صخر منحوت وفيها رباط متسع عجيب مليح جدا ، ينزله الحجاج المسافرون ولكنه قد سحب الزمان على كل ذيل البلي ، ورمى الداخل والخارج بسهم التوي فعادت بعد المتون ، برزة مكشوفة ، وصارت محاسنها ممحوة مكسوفة ، قد خرس بها لسان الطلب ،وعاد لفريق الجهل على فئة العلم الغلب ، لا تمد في الأمن ساعة من الدهر باعا ولا تمير فتشبع أهلا جياعا ، ثم وصلنا الى منزل ابي نصر وهي بليدة مسورة عامرة غاصة بالخلق ، بها سوق كبير يكثر اليها العرباء وهنالك 3 ويذكرها الحسن الوزان في كتابه أنها مدينة كبيرة عتيقة بناها الرومان ، على ساحل البحر المتوسط على بعد 100 ميل من تونس 4وهي محصنة بأسوار جيدة وأرض سوسة غنية بزيوتها وتمورها وتينها وغير ذلك من الغلل والثمار، ولكن تربتها قليلة الخصب لا تعطي من الحبوب غير الشعير 5، وهي بلد من المغرب بنواحي افريقية خرج منها محدثون وفقهاء وأدباء منهم يحي بن خالد السوسي ، عبد الله بن وهب ، وهي مدينة أحاط بها البحر من ثلاث نواحي ، من الشمال والجنوب والشرق 6 وهي مدينة بين الجزيرة والمهدية طيبة رفهة خصبة على نحو البحر لها مواجن قليلة واعمال صالحة نبيلة وفي أهلها والغالب عليهم السلامة لها أسواق حسنة وفنادق وحمامات لها ضياع جمة وغلات واسعة ، يسكنها أمة من الناس على مر الأيام والساعات[7]

[1]- ياقوت الحموي ،المصدر السابق، ج4 ،ص289.
[2]- البكري ،المصدر السابق ،ص 37.
[3]-العبدري،المصدر السابق ، ص 487.
[4]الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج 2، ص 84.
[5]- مرمول كربخال ، المرجع السابق ، ص ص 64، 65.
[6]- ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 281- 283.
[7] نفسه

فاس : حدثنا عنها العبدري فقال مدينة فاس ذات المخبر الخبيث، والمحي العابس ، وتضييع المصليات والمساجد وقلة الاعتناء بكل راكع وساجد ، وأما العلم عندهم فقد ركدت ريحه ، والجعل لا يواسي جريحه قد حضرت بجامعها شيخا يشار إليه ويعول في علمه في أغلب المسائل وحواليه جماعة من أعيانها ، فقرء عليه في المرابحة من التلقين الآداب استبهم عليه في وجه الصواب .... ذوي الأنفس الخبيثة والقلوب الزواغة والمعتقدات الشنيعة ..." [1] ويعرفها الحميري أنها مدينة عظيمة، وهي قاعدة المغرب وهي عبارة عن مدينتين مقترنين يشق بينهما نهر كبير يسمى واد فاس ، ومدينة فاس كثيرة الخصب والرخاء كثيرة البساتين والفواكه وجميع الثمار ، لها أنظار واسعة متصلة العمائر ، وعدوة القرويين من هذه المدينة ، وأكثر البساتين أشجار وعيون [2] .

وقد ذكرها الإدريسي " وبمدينة فاس ضياع ومعايش وبساتين ومباني سامية ودور وقصور ولأهلها اهتماما بحوائجهم ومبانيهم وجميع آلاتهم ونعمها كثيرة ، والحنطة بها رخيصة الأسعار جدا ، ودون غيرها من البلاد القريبة منها وفواكهها كثيرة ، بها عيون نابعة ومياه جارية وجهاتها مخضرة وبساتينها عامرةوحدائقها ملتفة ، وأهلها ذو عزة واسعة [3] .

أما ياقوت الحموي فيقول عنها " مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر وهي حاضرة البحر وأجل مدنه قبل أن تختط مراكش وقد تفجرت كلها عيونا تسيل إلى قرارة واديها، إلى نهر متوسط منه مستنبط من الأرض، فيفرق منه 08 أمتار تشق المدينة عليها نحو600رحلى، لا تبطل ليلا ولا نهارا، وليس بالمغرب مدينة يتخللها الماء غيرها إلا غرناطة بالأندلس وبفاس يصبغ الأرجوان والأكسية القرمزية [4].

طرابلس :

ومن مدن المغرب الأدنى التي وصفها العبدري طرابلس فقال فيها : ثم وصلنا إلى مدينة طرابلس وهي للجهل مأتم وما للعلم بها غرس ، افقرت ظاهرا وباطنا ـــلقاصدها لمعان البرق الخلب "كما قارن بين أهل تونس وطرابلس في أخلاقهم فقال "فسبحان من

[1] -العبدري ، المصدر السابق ،ص 116،117.
[2] -الحميري ، المصدر السابق ، ص ص443،444.
[3] الإدريسي ، المصدر السابق ، ص54.
[4] -ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج4 ، ص230.

ذلقهم وأهل تونس في طرفي النفيض ، أولائك في أوج وألاء في الحضيض ، [1] وانتقد العبدري مدينة طرابلس وأهلها لما كانت تعانيه من جهل وسوءأخلاقهم على عكس مدينة تونس ، وهدا عكس ما ذكره التيجاني في قوله " اذا اشرفت عليها يكاد بياضها مع شعاع الشمس يعشي الأبصار فعرفت صدق تسميتهم لها بالمدينة البيضاء "

وكان افتتاحها على يد عمروبن العاص رحمة الله تعالى وذلك سنة ثاني والعشرين هجري " كماأننا نجد في رحلة التيجاني وصفا لمعالم الحركة الثقافية والعلمية ، فيذكر أن فيها " محارس قديمة ومساجد كثيرة مشهورة بالفضل مزودة للبركة " فمنها مسجد الشعاب أحد صلحاء طرابلس ، ومسحد الخطاب ومساجدأخرى [2]

بالاضافة إلى أن بداخل البلد مدارس كثيرة ، ومن بينها المدرسة المنتصرية التي بناها الفقيه أبو محمد عبد الحميد ابن أبي البركات ، وهي من أحسن المدارس صنعا [3] كما أنه أشار إلى بعض أعلامها

مما يدل على أن الحركة العلمية في طرابلس كانت نشطة نوعا ما على عكس ماقاله العبدري وهذا من خلال قوله طرابلس هي " للجهل مأتم وما للعلم بها غرس ، افقرت ظاهرا وباطنا "[4]

مكة : تعد مكة من أهم المدن الشرقية التي تطرق العبدري الى ذكرها، فقال أنه وقبل الوصول اليها نزل الحجاج في المخسب في السابع من ذي الحجة وباتو فيه ، ثم ذهب إلى مبني، وهو يوم التروية ثم دخلوا الى مكة ، وكانت فرحة العبدري لا توصف بدخوله اليها كما ذكر ايضا أنها قليلة العلم وهذا راجع الى الوضع الأمني غير المستقر ، حيث أنه لا مجال للعلم والعلماء يهاجرون بسبب تردي الأوضاع 5

ثم ذكر فضل مكة على العباد وانه لا ترد فيه دعوة في قوله " كم من به أشعث لاترد " [6]وفي سياق آخر عبر المؤلف عن حاله قبل المجيئ الى مكة في بيت شعري مشبها نفسه بالغصن الذابل وبدخوله الى مكة بقوله عادت اليه الحياة :

وكنت كغصن قد ذوى من صدى لما حللها رويت اورقت .[7]

---

[1] العبدري ، المصدر السابق ، ص
[2] التيجاني ، المصدر السابق ، ص
[3] التيجاني ، المصدر السابق
[4] العبدري ، المصدر السابق
[5]-نفسه ، ص358.
[6]نفسه
[7]نفسه

بعدما بدأ في تقييد وصف هذا البلد الذي اعتبره من أعظم آيات الله وقدر هذا البلد استلاء قلوب الناس ، بالرغم من أن المكان قاحل لا يوجد فيها زرع ولا ماء ولا حجر .في قوله " فإنها بلد يسبى عقول الخلق ويستولي على قلوبهم".1

وأوضح العبدري في رحلته أبواب مكة . فقال أن لها ثلاث أبواب وقال لها ثلاث ابواب باب المكلاة2 – باب شبيكة 3- باب اليمن ، وفي الشرق يوجد عرفة والمزدلفة وفي الجنوب جبل باب ابي قبيس ، وفي الشمال جبل لأحمر ثم تطرق الى وصف المسجد الحرام وموقعه فقال فهو وسط البلاد ، كبير متسع يكون طوله أزيد من أربعة ذراع كما ذكر أبواب المسجد التي قال " باب الصفا والثانية على ركن باب بني شيبة والثالث على باب دار الندوة والرابعة على ركن باب سرة والخامسة على ركن أجياد بين الغرب والجنوب[4]

كما وصف بئر زمزم فقال في شرقي الكعبة بإزاء الباب قبة زمزم على البئر كبيرة متسعة ، وعمق البئر حوالي 30ذراعا ، ومن سطح الماء الى قعر البئر نحو 40 ذراعا و قال وقد تمسحنا به وتوضئنا به وارتوينا " وتملأنا واقتضينا منه علالا "كما قال : لم أدخل قبة زمزم لكثرة ازدحام الخلق.[5]

ونقد الحجاج فقال " ولم ير عبرة مالم ير قتا لهم على الركن الأسود ترى الرجال يتساقطون على النساء ويتأهبون للقتال وبعضهم في التزام بالحجر وقطع الوقت بهم لثما ولحسا ، وتراهم في قبة زمزم يتقاتلون على الماء .[6] كما قال " وقد اسقطوا بجهلهم ، وجفائه حرمة "

كما تحدث عن مقام ابراهيم " والمقام بازاء الباب الكعبة متياسر عن قبة زمزم وأقرب منها الى الكعبة وبينه وبين الكعبة 70ذراعا" كما قام بوصف الكعبة " فأما الكعبة فهي في وسط المسجد وبنائهاعجيب متقن من حجر منحوت محكم الالساق ، ولونه الى الحمرة مع دكنة يسرا وارتفاعها في السماء [7]، كما ذكرو 30 ذراعا

---

[1] نفسه ، ص ص361،362.

[2] -باب المعلاة :وهو عند الثنية المعروفة بكداء ومنه يخرج الى المقبرة المعروفة بالبركة .أنظر:- العبدري ، المصدر السابق ، ص 365.

[3] - باب الشبيكة : أحد أبواب مكة مبنية على الثنية كداء . وهو باب العمرة كان قديما يعرف بباب الزاهد أنظر :-المصدر السابق ، ص 365.

[4] العبدري ، المصدر السابق

[5] نفسه

[6] نفسه

[7] العبدري ، المصدر السابق

ومن أسماء مكة حيث قال عز وجل "إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا"[1] وقال وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة "[2] صلاح معدول ، العرش القادس ، المقدسة ، النساسة ، ام القرى ، البيت العتيق ، الكعبة ، قرية قديمة ،رحم .[3]

كما تطرق الى أركان الحج وشروط الحج وفضل الحج والملاحظ أن العبدري كل ما شاهده في مكة كتبه بالتفصيل والدقة من خلال ذهابه للمدينة ووصفه لمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم .4ولقائه بالمشايخ[5]. ويعرف ياقوت الحموي مكة : بقوله هي بيت الله الحرام سميت مكة لأنها تملك الجبارين أي تذهب نخوتهم ، ويقال سميت مكة لازدحام الناس بها ، ويقال مكة اسم المدينة ، وبكة اسم البيت ، وسماها الله تعالى أم القرى والبلد الامين ، والبيت العتيق والبيت الحرام[6] ومن هنا اتفق العبدري مع ياقوت الحموي حول تسمية مكة إلا أن العبدري بالغ في نقد زوارها

[1] سورة ال عمران ، الاية
[2] سورة الفتح
[3] العبدري ، المصدر السابق
[4]- نفسه ، 366
[5]-نفسه ، ص 370
[6] ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج

خاتمة

من خلال البحث استنتجنا مايلي :

-أن لكل مؤلف وجهة نظر خاصة به ، وتكون نابعة من ثقافته الدينية والعلمية ، أو الاجتماعية فلكل مصدر هدف من كتابته لمؤلفه ، ودوافع تؤثر فيه

-أن العبدري هو من أهم الرحالة المغاربة ، وكان الهدف من رحلته أداء فريضة الحج وطلب العلم ، وبالتالي رحلته جليلة الفوائد عظيمة القيمة

-ذم ومدح العبدري ناتج عن اهتمامه الشديد بالمدن التي زارها ، مم يدل على دقته الشديدة فهو لم يصف فقط الدور ومايجاورها ، والمدينة وشكلها بل تعداه إلى الجانب العلمي ، والأخلاقي

-لايعني عد اهتمام العبدري بالجانب الإقتصادي أنه أغفله ، بل لأن العبدري هو فقه وعالم ، وقد حاول تضمين الرحلة بجوانب مختلفة لكنها تسير في اتجاه واحد وهو وصف رحلته من لحظة انطلاقه إلى غاية العودة ، فلم يتطرق إلى الموقع الجغرافي والحالة السياسية والعلمية والفكرية ، ولكن اختص بالجانب الثقافي ، فكلما حل بمدينة أو بلد بدأ البحث عن درجة الإهتمام بالعلم والعلماء ، وكان يقدم للقارئ مشاركاته العلمية ومناقشاته التي تجري بينهم

-تضمن الرحلة بعض المسائل الفقهية و الأحاديث التي كان يرويها ، يدل على أن العبدري يحب العلم ، ويفضل الخوض في أمور تتعلق بالسياسة والتجارة ، وغيرها

-أسلوب العبدري البديع يدل على ثقافته الواسعة في علوم اللغة وفنون البلاغة ، مما جعل كتابه مميزا ، ففيه عبارات مسجوعة مفعمة بالمحسنات البديعية ، وهو الأمر الذي جعل الرحلة تبدو أدبية أكثر منها تاريخية

-المقارنة بين ماتحويه المصادر من معلومات حول موضوع واحد كموضوع المدن تجعلك تدرك بأن هذه المصادر تكمل بعضها البعض ، وإن وجدت بعض الفروقات فهي تعود لخلفية المؤلف ، أو ثقافته ، أولحالة شاذة كان فيها ، أو ربما نمط تفكيره

إن وصف مدن المغرب الأوسط حسب العبدري يدل على أنها كانت في زمانه بحال سيئة جدا ، وليس هذا بغريب كون المغرب الأوسط في هذه الفترة كانت تحت

الصراع النفوذ المريني و الحفصي، وهذا ماجعله يصف بسلبية ، وبالتالي نرى مدى انعكاس الجانب السياسي المتردي على باقي الأوضاع والمجتمع عامة

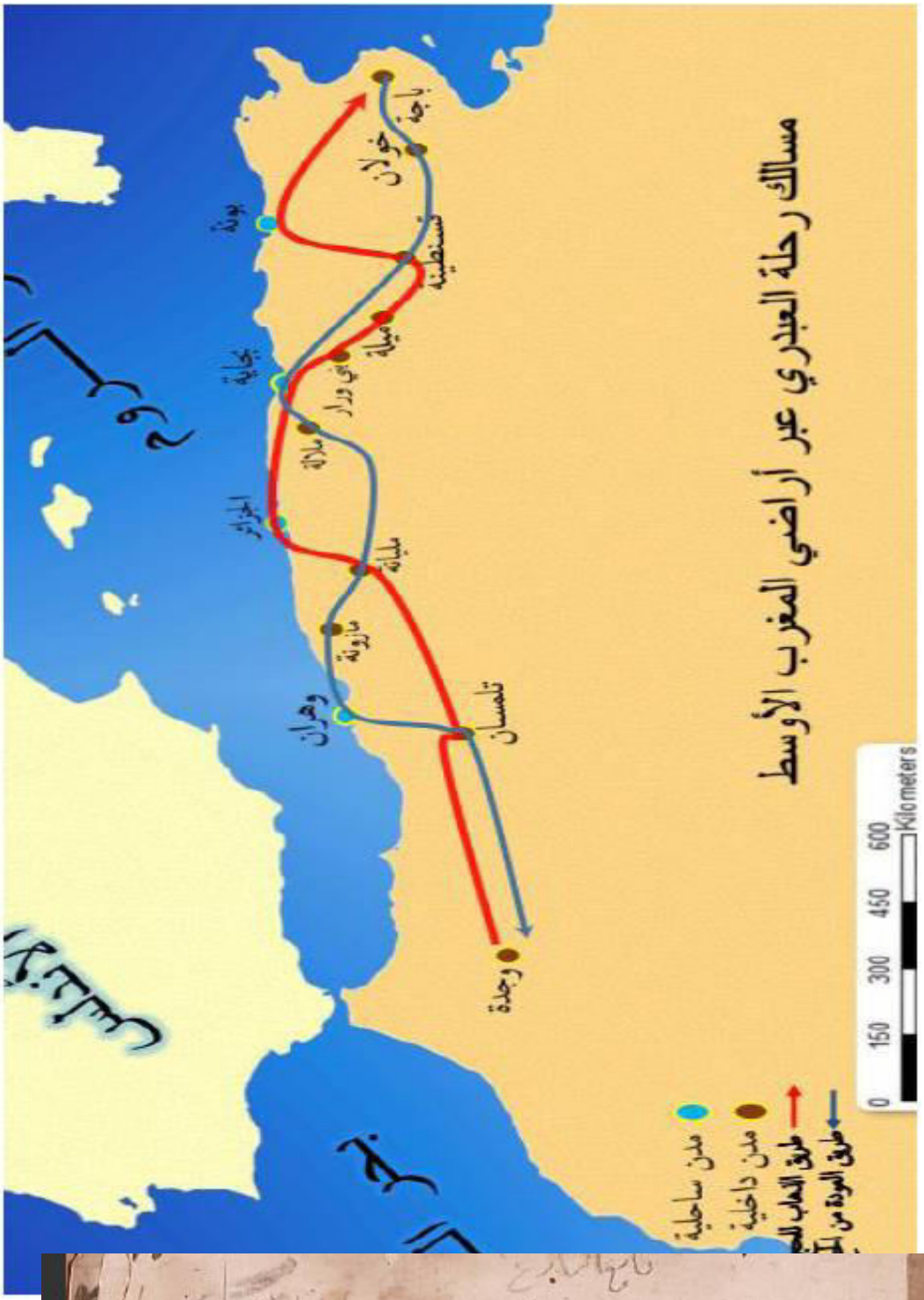
-أما بخصوص المغرب الأدنى فإن وصفه لجميع جوانبه وتقديم ترجمات وافية لعلماء المنطق ، واهتمامه بأغلب مدنه ، يدل على حالة الاستقرار الذي كان عليه

-أما بالنسبة للمغرب الأقصى فقد لاحظنا أنه استحسن أهلها ، عندما هجا أهل القاهرة في قوله أنه ما رأى بالمغرب الاقصى والأندلس بمثل أخلاقهم

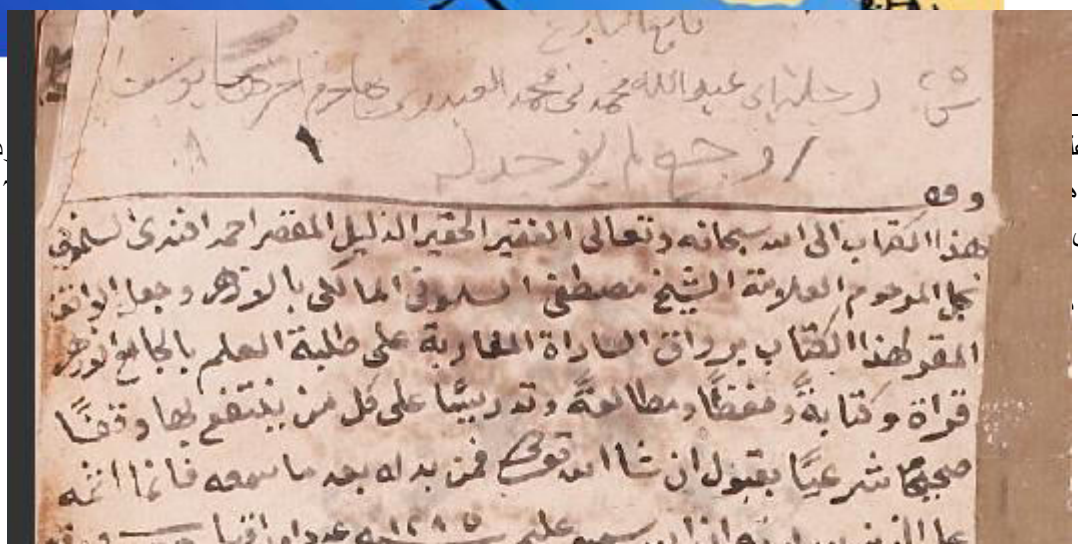
-وأخيرا يمكن القول أن بلاد المغرب الإسلامي عموما والمغرب الأوسط خصوصا في هذه الفترة شهدت عدم استقرار سياسي ، أثر في الأوضاع الإقتصادية وحتى الإجتماعية ، إلا أن الحركة العلمية لم تتعطل بل بالعكس كانت في تطور مستمر ،وقد أسهب هذا التطور والتقدم في ظهور مجموعة من الحواضر الثقافية التي أشرنا إليها سابقا ، وبالرغم من عدم الإستقرار إلا أنه ذكر أماكن تدل على وجود رخاء اقتصادي ومثاله قسنطينة ، مما يجعلنا نستنتج أن لكل مدينة خصوصيتها

الملاحق

الملحق : 01[1]



الملـ

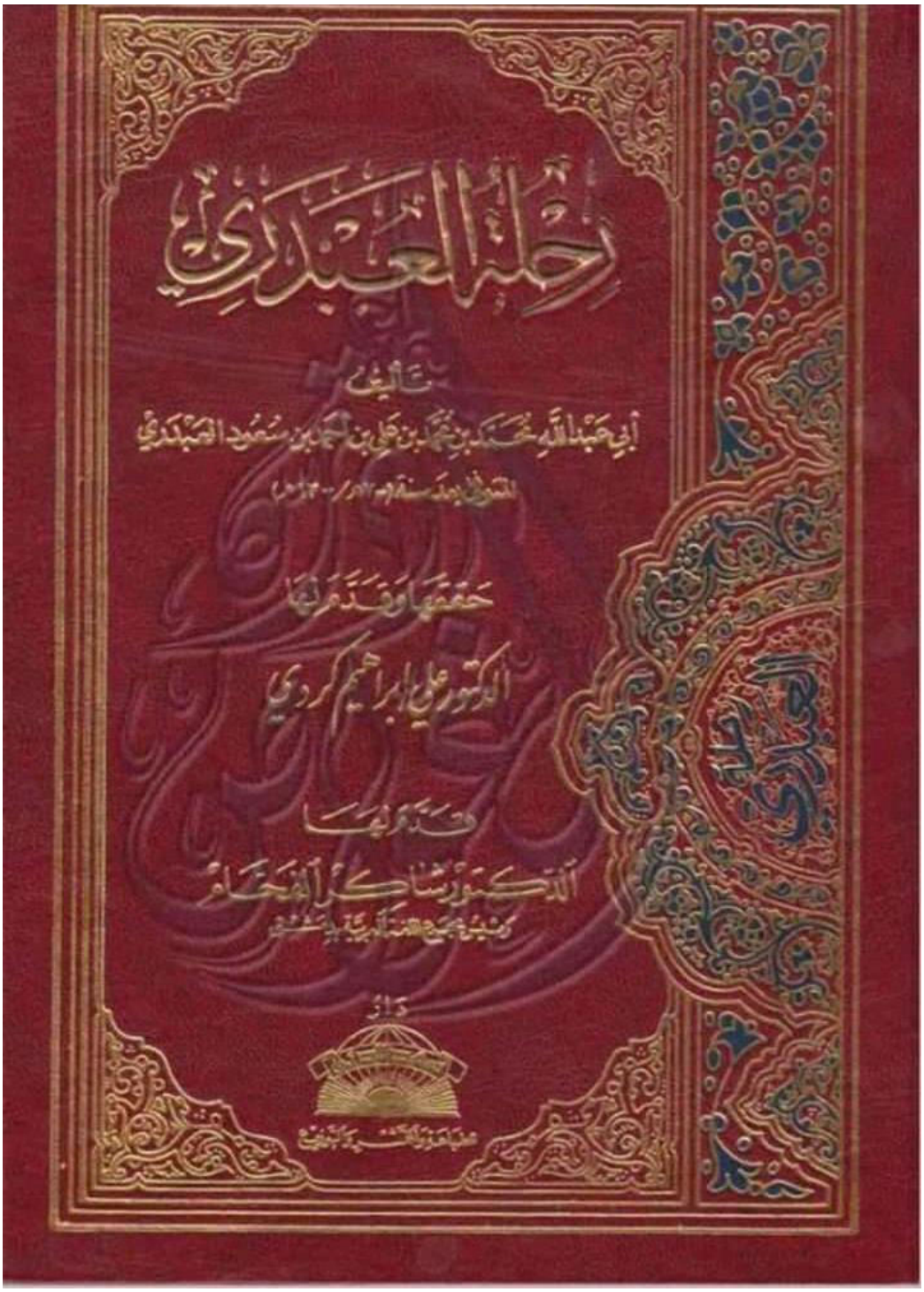


[1] عـ
مزه
ص

[2]

د
201م،

الملحق :03[1]



[1] العبدري، مصدر سابق،ص1.

قائمة المراجع

المصادر.

-القران الكريم

1. ابن بطوطة (شمس الدين ابي عبد الله محمد بن عبد الله)،رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، تح عبد الهادي النازي ، مج1، دط، اكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ن 1997م.
2. ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، تح علي المنتصر الكيتاني ر، ج1، ط4 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1985م.
3. ابن حوقل (ابي القاسم) ،صورة الارض ، دط ، منشورات دار الحياة ، بيروت ، 1995م.
4. ابن خلدون (عبد الرحمان) ، تاريخ ابن خلدون ، ضبط خليل شحادة ، سهيل زكار ، ج7، دط، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 1421ه-2000م.
5. ابن خلدون (عبد الرحمان) ، ديوان المبتدا والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشان الاكبر، تح خليل شحادة ، ج6، دار الفكر بللطباعة والنشر والتوزيع، لبنان ، 2000م.
6. ابن سعيد المغربي ، الجغرافيا ، تح اسماعيل العربي ، دط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1982م
7. ابن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار ـ تح احسان عباس ، دط ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1984م.
8. ابن منظور (ابو الفضل جمال الدين محمدابن مكرم) ، لسان العرب ،تح عبد الله علي الكبير واخرون ، دط ، دائرة المعارف ، القاهرة ، دت.
9. ابو الفداء (عماد الدين اسماعيل محمد بن عمر صاحب حماة)، تقويم البلدان ، تص رينود والبارون ديسلان ماك كوكين،دط ، دار صادر، بيروت ، 1830م.
10. ابو عبد الله بن محمد بن عمر ، رحلة ابن رشيد السبتي ، دراسة وتحليل احمد حدادي ، دط ، منشورات الاوقاف والشؤون الاسلامية ، المغرب 1424ه-2003م.
11. الادريسي (ابو عبد الله محمد ابن محمد) ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، تح روبيناتشي وحسين مؤنس واخرون ،مج1،مكتبة الثقافة ، دم ، دت.
12. البكري (ابي عبيد الله)، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب جزء من كتاب المسالك والممالك ، دط ، دار الكتاب الاسلامي ، القاهرة ، دت.
13. بن عذاري (ابي احمد بن محمد)، البيان المغرب في اخبار ملوك المغرب والاندلس ، مج1، ج1 ، دط، دار الغرب الاسلامي ، تونس ، 1434ه-2013م.
14. التيجاني (عبد الله ابومحمدابن احمد) ، رحلة التيجاني ، تح حسن حسين عبد الوهاب ، دار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، 1981م.

15. الزهري (ابي عبد الله محمد بن ابي بكر) ، كتاب الجغرافيا ، تح محمد الحاج صادق ، دط ، المكتبة الثقافية الدينية ، دم ، دت .
16. العبدري (ابي عبد الله محمد بن علي احمد بن سعود) ، الرحلة المغربية ،تح علي ابراهيم الكردي ، ط1، ط2، دار سعد الدين ، دم ، 1999م.
17. العسقلاني ، (شهاب الدين احمد بن علي بن حجرت ، الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ، ج3،دط، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، دت .
18. الغبريني (ابو العباس) ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة من بجاية ، تع تح عادل النويهر ، ط2، منشورات دار الافاق الجديدة ، بيروت، 1997م.
19. المالكي (ابو بكر عبد الله بن علي عبد الله)، رياض النفوس في طبقات علماء القيران وافريقية ، تح حسين مؤنس ، دط ، القاهرة، 1951م.
20. المقديسي(محمد بن احمد ابو عبد الله) ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، دط، مكتبة خياط ، بيروت ، لبنان، دت .
21. المقري (احمد بن محمد) ، نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، تح احسان عباس ، مج9،دط، دار صادر ، بيروت ،1988م.
22. مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الامصار ، تح سعد زغلول عبد الحميد ، دط ، دار الشروق الاسلامية العامة افاق عربية ، العراق ، دت .
23. الوزان (الحسن بن محمد الفاسي)،وصف افريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر ، ط2 ، دار الغرب الاسلامي ، 1983م.
24. اليعقوبي (احمد بن ابي يعقوب) ، البلدان ، دط ، مكتبة المثنى عن لندن ، دم ، 1891م.

المراجع :

1- ابن القاضي ، درة الحجال في اسماء الرجال ، تح محمد الاحمدى ابو النور ، ج1، ط1، دار التراث ، القاهرة ، 1971م.
2- احمد العدوي ، ابن بطوطة في العالم الاسلامي ، دط ، دار المعارف ، مصر 1954م.
3- احمد بابا التنبكتي ، نيل الابتهاج بتطريز الدباج ، تق عبد الحميد عبد الله هرامة ،ج1، ج2، ط1، كلية الدعوة الاسلامية ، طرابلس ، 1398ه-1986م.
4- احمد بن محمد المكناسي ابن القاضي ، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام في مدينة فاس ، ج1، دط، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1973م.
5- احمد رمضان ، الرحلة والرحالة المسلمين ، دط ، اكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، جدة، دت .

6- اغناطيوس يوليا نوقتش كراتشوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، نقله الى العربية صلاح الدين عثمان هاشم ، مج2 ، دط، جامعة الدولة العربية ، 1957م
7- بشير مقبيس ، مدينة وهران دراسة جغرافية العمران ، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983م.
8- حسن الشاهدي ، ادب الرحلة بالمغرب في العصر المريني ، ج1،دط، منشورات عكاظ ،دم،1990م.
9- حسين احمد فهيم ، قصة الانثروبولو جيا فصول في تاريخ علم الانسان ، سلسلة عالم المعرفة ، دط ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، الكويت ، 1986م.
10- حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الاندلس ، ط2، مكتبة مدلولي ، مصر ، 1986م.
11- خالد بن عيسى البلوي ، تاريخ المفترق في تحلية علماء الشرق ، دط ، تح لحسن السائح ، دار الفضالة ، دم ، دت .
12- خير الدين الزركلي ، الاعلام قاموس التراجم اثمر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ج7، ط15، دار العلم ، لبنان ، 2006م.
13- رحاب خضر عكاوي ، موسوعة عباقرة الاسلام في الطب والحغرافيا والتاريخ والفلسفة ، ج2، دط، دار الفكر العربي ،بيروت ، 1993م.
14- زكي محمد حسن ، الرحالة المسلمين في العصور الوسطى ، دط ، بدار المعرفة الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، 1981م.
15- سماعيل العربي ، المدن المغربية ، دط ، المؤسسة الوطنية ، الجزائر ، دم ، دت .
16- شوقي ضيف ، الرحلات ، ط4، دار المعارف ،القاهرة ، دت .
17- صلاح الدين الشامي ، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية ، ط2،منشا المعارف ،الاسكندرية ، 1999م .
18- عادل نويهض ، معجم اعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر ، ط3، مؤسسة نويهض للثقافة للنشر ، لبنان ، 1983م.
19- عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي ، الرحلة في الاسلام وانواعها وادابها ، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب ، مصر ، 1992م.
20- عبد الحي الكتاني بن عبد الكبير ، فهرس الفهارس الاثبات ومعجم المعاجم والمشايخ والمسلسلات ، ج1، ط2، دار الغرب الاسلامي ، لبنان ، 1982م.
21- عبد الكريم جودت يوسف ،الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الاوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9م-10م)، دط، ديوان المطبوعات الجامعية ، دم ، دت .

22- علي ابراهيم الكردي ، ادب الرحل في المغرب والاندلس ، ط2، منشورات الهيئات العامة السورية للمكتبات ، دمشق ، 2013م.
23- علي بن عبد الله الدفاع ،رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية الاسلامية ، دط ، مكتبة النوبة ، دت.
24- عمر فروخ ، تاريخ الادب العربي ، ج6، ط1، دار العلم للملايين ، لبنان ، 1983م .
25- فؤاد قنديل ، ادب الرحلة في التراث العربي ، دط ،مكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، دت .
26- الفيلالي عبد العزيز ، تلمسان في العهد الزياني ، ج2، دط، موفم للنشر والتوزيع ،الجزائر، 2002م.
27- محمد ابن محمد ابن مخلوف ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، دط ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، دم، دت .
28- محمد علي بن احمد بن سعيدالاندلسي ، ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، تح عبد السلام محمد هارون ،دط،دار المعارف ، مصر ، 1962م.
29- محمد محمد زيتون ، القيروان ودورها في الحضارة الاسلامية ، ط1، دار المنار ، القاهرة، 1988م.
30- محمد محمود محمدين ، التراث الجغرافي الاسلامي ، دط،دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، 1999م.
31- محمد محمود محمدين ، الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان ، ط2، دار الخريجي للنشر والتوزيع ، الرياض ، السعودية ، 1996م.
32- نصار حسين ، ادب الرحلة ن ط1، الشركة المصرية العالمية للنشروالتوزيع ، لونجمان ، 1991م.
33- نقولا زيادة ، الجغرافيا والرحلات عند العرب ، دط ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ، 1987م.
34- نوال عبد الرحمان الشوابكة ، ادب الرحلات الاندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري ، ط1، المامون ،للنشر والتوزيع ،الاردن ، 2008م.

المراجع المترجمة :

1. -مارمول كربخال ، افريقيا ، تر محمد حجي واخرون ، ج3، دط، دار النشر للمعرفة ، بيروت ، الرباط ، 1989م.

الرسائل الجامعية :

1- احمد يسعد ،المسعودي البيرني ، رواد الدراسات الهندية من الرحالة المسلمين ابن بطوطة نموذجا (287ه-779ه)(9م -1377م)، اش احمد شوقي ، رسالة مقدمة انيل شهادة الكتورة في التاريخ الاسلامي وقارة اسيا في العصور الوسطى ، كلية العلوم الانسانية ، جامعة الجزائر 02، 20150م -2016م.
2- سالم بوتدارة ، تاريخ شمال افريقيا من خلال كتابات مارمول كربخال والحسن الوزان ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث ،قسم التاريخ ، جامعة سيدي بلعباس ، 2010م-2011م.
3- عبد الكريم عزوق ، المعالم الاثرية ببجاية ونواحيها ، اش عبد العزيز لعرج ، اطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتورة دولة في الاثار الاسلامية ، جامعة الجزائر ، 2007م-2008م.
4- العشي علي ، التوجه البحري للمغرب الأوسط و اثره في طرق التجارة والمواصلات ، اش مسعود مزهودي ، اطروحة دكتوره في التاريخ الوسيط ، قسم التاريخ وعلم الاثار ، جامعة باتنة ، الجزائر

المجلات :

1- ابراهيم حركات ، دور بجاية في الحضارة ، مجلة الاصالة ، وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية ، مطبعة البحث ، قسنطينة ، الجزائر ، افريل ، العدد19، 1974م.
2- عبد الرزاق خليل أحمد ، جمالية المكان في رحلة ابن جبير الأندلسي ، الجامعة العراقية ، كلية الاداب ، العدد الاول
3- فاتن كوكة ،الجانب العلمي في رحاة العبدري ، مجلة جامعة دمشق ، مج31، العددالثالث.

الفهرس

العنوان	الصفحة
شكر وعرفان	
إهداء	
مقدمة	أ
المدخل التمهيدي : مفهوم المغرب الأوسط	07
مفهوم المغرب الأوسط	08
المبحث الأول : الرحلة والرحالة المسلمون	10
1/مفهوم الرحلة	11
أ-لغة	11
ب- اصطلاحا	12
ج- في القرءان الكريم	12
د- في السنة النبوية	13
2/- دوافع الرحلة	13
أ- الدافع الديني	14
ب- الدافع العلمي والتعليمي	15
ج- الدافع الاداري والسياسي	16
د- الدافع الاقتصادي	16
3/ نماذج عن بعض الرحالة والجغرافيين المسلمين	17
أ – ياقوت الحموي	17
ت- التجيبي	19
ج- ابن سعيد	21
د- البغدادي	22
المبحث الثاني : التعريف بالعبدري وبكتابه	24
1/- ولادته ونشأته	25
2/- حياته العلمية وأسلوبه	30
3/- دراسة مصنف الرحلة	40
أ – الدراسة الظاهرية	40
ب- الدراسة الباطنية	43
المبحث الثالث : المدن الساحلية في المغرب الأوسط	45
1/- مدن المغرب الأوسط	46
تلمسان	46
- مليانة	48
جزائر بني مزغنة	49
- بجاية	50

وهران	52
-بونة	53
قسنطينة	54
مدن أخرى 2/-	55
-تونس	55
- باجة	57
- القيروان	58
- قابس	59
- سوسة	60
- فاس	61
- طرابلس	62
- مكة	63
خاتمة	66
الملاحق	69
قائمة المصادر والمراجع	73
فهرس الموضوعات	80